سوريتنا
www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com
السنة الرابعة | العدد (170) | 21 كانون الأول 2014

بعد عامين من الهجمات والحصار
وادي الضيف بيد المعارضة

أبو غابي
في "حجاز حرب"
من المخيم وإليه

الغاز في حلب النظام بالواسطة أو الطابور

- إزالة الحواجز (الميتة) وفتح الطرق (الحيوية) في حلب
- أبناء الشعيطات يكتشفون مقبرة جماعية
- مرض "اللشمانيا" يجتاح ريف الحسكة
- الميلاد في دمشق مظلم، وشموعه لا تنهي الحداد
- سوريا: جحيم الصحفيين والجميع جناة

السيطرة على النفط السوري
تشعل الحرب بين الكرد وداعش

بعد عامين من الهجمات والحصار
النصرة وحلفاؤها يحسمون معركة وادي الضيف

■ إدلب - وادي الضيف - فؤاد الأحمر

سيطرت جبهة النصرة وفصائل إسلامية أخرى، الاثنين الماضي، على معسكري وادي الضيف والحامدية في ريف إدلب، بعد عامين من الحصار والهجمات المستمرة على هذين المعسكرين اللذين يشكلان أكبر تجمع عسكري للنظام في الشمال السوري.

وتمكنت جبهة النصرة وبعض حلفائها من الفصائل الإسلامية كجند الأقصى، وأحرار الشام، والفرقة 13 التابعة للجيش الحر من السيطرة على معسكر وادي الضيف والحامدية وجميع الحواجز المحيطة بهما.

ويقع معسكر وادي الضيف شرق مدينة معرة النعمان الاستراتيجية التي سيطر عليها عليها مقاتلو المعارضة في التاسع من تشرين الأول 2012، بينما يقع معسكر الحامدية جنوب المدينة على طريق دمشق - حلب.

وكانت هذه الفصائل أعلنت في الرابع عشر من الشهر الجاري عن معركة تحرير آخر معاقل النظام في ريف إدلب الجنوبي، لتتمكن تلك الفصائل في اليوم التالي، من تحرير كل من تل السوادة والقيادة وحواجز التمساح والنمر الأمامي والخلفي وحبوش ودار الشرطي ليصبح الطريق ممهداً أمامها لاقتحام معسكر وادي الضيف بعد اشتباكات دامت لأكثر من خمس ساعات انسحب عناصر النظام باتجاه معسكر الحامدية ليصبح معسكر وادي الضيف محرراً بالكامل.

وبعد السيطرة على وادي الضيف كثف المقاتلون المهاجمون نيرانهم على معسكر الحامدية فتمكنوا من اقتحامه في ذات اليوم، وفر عناصر المعسكر باتجاه قرية بسيدا ومعر حطاطا جنوب المعسكر، ليخوض المقاتلون في هاتين القريتين آخر مواجهة لهم في هذه المعركة وتمكنوا من حسمها بعد مقاومة عنيفة من قبل عناصر النظام.

وقال مقاتل من أحرار الشام شارك في معركة تحرير وادي الضيف " بأنهم تمكنوا من أسر أكثر من 20 جندياً وضابطين واغتنموا خمس دبابات ومصفحتين والكثير من الأسلحة والذخائر".

وكان مقاتلو المعارضة المسلحة قد تجمعوا في مدينة معرة النعمان قبل توجههم إلى معسكر وادي الضيف ومعهم عدد كبير من الأسلحة الثقيلة والآليات والمدرعات، بينها دبابتين من نوع (t82) وأربعة دبابات من نوع (t72) وثلاث عربات (bmb) وشاحنتين كان يبدو أنهما تحملان قذائف وصواريخ متطورة.

يقول سعد وهو أبن معرة النعمان وأحد مقاتلي أحرار الشام إن الأسلحة التي اغتنموها من لواء أحرار سوريا في الشهر الماضي هي التي حسمت معركة وادي الضيف لمصلحتهم ويضيف سعد "في كل مرة كنا نشن فيها هجوماً على وادي الضيف نخسر المعركة بسبب قلة الذخيرة وافتقادنا للأسلحة المتطورة".

ويوضح سعد "في هذه المعركة كنا نمتلك أسلحة متطورة أهمها صواريخ (تاو) فتمكنا عن طريق هذه الصواريخ من رصد مدرعات النظام وآلياته ثم قمنا بتفجيرها قبل الاقتحام، وتمكنا من اقتحام المعسكرين بواسطة الدبابات والمدرعات التي إغتنمناها من (جمال معروف) قائد لواء أحرار سوريا".

وكانت القوافل العسكرية المتوجهة إلى معسكر وادي الضيف تضم مقاتلين وعربات تابعة لـ (جبهة النصرة، جند الأقصى، أحرار الشام، فرقة 13 جيش حر، فيلق الشام، الجبهة الإسلامية) في حين أعلنت جبهة النصرة على حسابها على (توتر) تحريرها لمعسكر وادي الضيف، لكنهم شددوا على أن عناصرهم هم الوحيدون الذين حرروا هذا المعسكر.

وبتحرير وادي الضيف والحامدية يكون النظام قد خسر آخر معاقله في الريف الجنوبي لمحافظة إدلب ويرى قياديون عسكريون في المعارضة أن تحرير هذين المعسكرين قد عطل الخطة العسكرية التي كان يرسمها النظام لتقدمه من حماه باتجاه الشمال لبسط سيطرته على الريف الجنوبي في إدلب.

ويرى القياديون أن السيطرة على المعسكرين تهدد قوات النظام المتمركزة في ريف حماه الشمالي ومدينة مورك تحديداً، كما بات الطريق ممهداً لمقاتلي النصرة والفصائل الإسلامية باتجاه مدينة إدلب الخاضعة لسيطرة النظام.

يقول أبو أسامة وهو قائد مجموعة في فيلق الشام "نحن الآن نضع خطة لتحرير محافظة إدلب بالكامل وسوف نعزز صفوفنا بالاتفاق مع بعض الفصائل العسكرية الأخرى في المحافظة وستكون وجهتنا المقبلة مدينة إدلب".

ويشير أبو أسامة إلى اهتمامهم بتوقف زحف قوات النظام المتمركزة في مورك، باتجاه جنوب إدلب "سنصد أي هجوم محتمل لقوات النظام من مورك".

وادي الضيف والحامدية

- أهم وأقوى تجمع عسكري لقوات النظام في الشمال السوري.
- يقع تجمع وادي الضيف والحامدية، بالقرب من مدينة معرة النعمان بريف إدلب بامتداد 13كم وبعرض 3كم..
- يبعدُ عن مدينة إدلب 45 كم جنوباً، وعن مدينة حلب 84 كم، وعن مدينة حماة 60 كم.
- محاصر من قبل قوات المعارضة السورية المسلحة، منذ تحرير مدينة معرة النعمان في تشرين الأول2012.
- شنت قوات المعارضة خلال العامين الماضيين 5 معارك للسيطرة على هذا التجمع وهي على التوالي: "البنيان المرصوص، دحر العدوان، الزلزلة، القيامة، الجيش الواحد" لكن جميعها فشلت في السيطرة عليه.
- في 14 / 12 / 2014 شنت جبهة النصرة وحركة أحرار الشام الإسلامية وفصائل أخرى هجوماً كبيراً على تجمع وادي الضيف والحامدية وتمكنت خلال اليومين التاليين من السيطرة عليه بشكل كامل.
- تشير تقديرات إعلامية وميدانية أن عدد قوات النظام قبل تحرير التجمع حوالي 1500بين عناصر وضباط.

الميلاد في دمشق مظلم، وشموعه لا تنهي الحداد

■ دمشق - مازن دياب

توقفت ريما وعائلتها عن تزيين شجرة الميلاد طيلة السنوات الثلاثة الماضية، بعد أن فقدت الطبيبة القاطنة في باب توما، أخيها جورج "في ظروف مجهولة" ثم عثروا على جثته على أحد طرقات الغوطة بمحيط بلدة مرج السلطان التي كانت منطقة متنازعة السيطرة حينها.

ثلاث سنوات من الحداد قررت ريما أن تنهيها هذا العام بإعادة تزيين شجرة الميلاد والصلاة لراحة روح أخيها، لم يكن قرار إعادة تزيين الشجرة بالسهل، ولا سيما مع الكلفة الباهظة لشراء الزينة والإنارة، فقبل 3 سنوات كانت بضعة آلاف تكفي لإقامة شجرة كبيرة مع كامل زينتها، فيما كلّفت الشجرة الجديدة وأجراسها ونجماتها ما يزيد عن 50 ألف ليرة سورية، تصف ريما المبلغ بالهائل، ولكن يوجد مبالغ أكبر بكثير. تضيف ريما: من عادة العوائل الدمشقية المسيحية إحضار الشجرة مع أغراض المنزل الأساسية، وتكون زينتها من الأهل كهدايا الزفاف للعروسين، لكن ظروف الحرب بدّلت كل التفاصيل، ولم تعد العائلات تعنى بتفاصيل الشجرة بقدر اعتنائها بتفاصيل الطعام والشراب وتأمين المحروقات. لكن إصرارها هذه السنة كان شديداً حسب وصفها، واستطاعت تأمين المبلغ على مرحلتين وأحضرت كامل زينة الشجرة ورغم أن شجرة الميلاد هي طقس اجتماعي يعبّر عن الفرح أكثر منه طقس ديني، إلا أن العديد من العوائل كانت تطبّق هذا الطقس بشكل منتظم كل ميلاد.

الشجرة الخضراء رمز للديمومة، وأول ظهور لها حسب أحد الأساقفة كان في القرن السادس عشر، حيث عمّدته الكنيسة ليغدو طقساً قريباً من العادة الدينية المباركة بإقامة المغارة. حيث ولد السيد المسيح حسب المعتقد المسيحي في مغارة بسيطة تتجسّد ببعض الأماكن العامة والمنازل، لكن إقامة مغارة يكلف أضعاف ما تكلفه إقامة شجرة، لذلك يتجه الكثير للاكتفاء بشجرة ونجمة.

الخامس من كانون الأول وبعد عيد البربارة مباشرة توجهت ريما مع شقيقتها لوضع الشجرة وتزيينها. وبعد يومين من التحضيرات والتجهيزات إكتملت الشجرة مع زينتها ليقف الجميع وجهاً لوجه أمام الصدمة التي لم تكن بالحسبان، فقد زادت ساعات التقنين في منطقة دمشق القديمة، لتطول إلى 16 ساعة يومياً، بما في ذلك ساعات الليل التي كان من المفترض أن تنار خلالها الشجرة. مرّ يوم ويومان وثلاثة، وساعات التقنين في ازدياد أو ثبات دون أي تحسّن. تمرّ ليالي الحرب الباردة على مناطق باب توما والقصّاع، على بعد أقل من 1 كم من مناطق تشهد أعنف المعارك في البلاد. ربما اعتاد سكان شرق دمشق أصوات الانفجارات والاشتباكات، لكن انقطاع الكهرباء حرمهم مرة ثانية من فرحة مفترضة. تقول ريما أنها حزينة جداً لأن الشجرة بقيت ظلمة، وكذلك صورة أخيها جورج. أحضرت ريما شموعاً إضافية إلى منزلها البسيط، ولكن هذه المرة ليس للصلاة لروح جورج .. بل لتبصر طريقها إلى المطبخ في يوم الميلاد..

حي القصاع بدمشق 20 / 12 / 2014

مرض "اللشمانيا" يجتاح ريف الحسكة

■ الحسكة - عدنان أبو كنان

شهدت مناطق في ريف الحسكة ازدياد حالات الإصابة بمرض "اللشمانيا"، في غياب كامل لمقومات الرعاية الصحية والطبية.

وتركزت أكثر حالات الإصابة في المناطق التي يسيطر عليها تنظيم "الدولة الإسلامية"، كمنطقة تل حميس ومركدة والشدادي.

"عمر" طفل في الثالثة عشر من عمره، من قرية عجاجة جنوب الحسكة، لم ينتبه أهله لتلك الندبة الحمراء التي ظهرت على خده الأيمن، وما لبثت أن كبرت تلك الندبة، لتبين بعد أن كشف عليه أحد الأطباء أنه مصاب باللشمانيا.

يقول والد الطفل عمر: "نتيجة التلوث الذي أصاب منطقتنا، وقلة خبرتنا، لم نكتشف ولم نكترث لأمر طفلنا إلى أن أخذت تكبر هذه الندبة".

وأضاف: "لا يوجد لدى المركز الصحي الوحيد في قريتنا أي لقاحات تفيد في علاج ولدي، وهو بحاجة إلى دواء قبل أن يتشوه وجهه، وأنا أعمل على تأمين بعض الجرعات له عن طريق أحد معارفنا في المدينة، كونها متوفرة في مراكز النظام الصحية".

حالة عمر حالة من بين عشرات الحالات المنتشرة في مناطق الريف الحسكاوي، التي يغيب عنها أي شكل من أشكال الدعم الصحي

أو الطبي، في وقت أصبحت فيه المراكز الصحية تعمل على تقديم بعض الإسعافات الأولية، وبعض اللقاحات للأطفال، المرسلة عن طريق منظمة الصحة العالمية والتي اقتصرت على لقاحات شلل الاطفال.

وعن العوامل التي تسهم في نقل هذا المرض يقول الطبيب ابراهيم العلي أخصائي أمراض جلدية إن حركة الناس تسهم في نقل المرض، بحيث يدخل إلى المناطق الموبوءة أناس غير ممنعين، ويكونوا عرضة للإصابة وبالتالي نقل المرض إلى أماكن تندر فيها الإصابات.

ويضيف الطبيب إبراهيم بأن "ثمة عوامل اجتماعية واقتصادية لها أثر كبير في انتعاش مثل هذه الأمراض وانتشارها، لعل أبرزها، زيادة الفقر في هذه المناطق، تردي الأوضاع الصحية وانعدام الخدمات في كثير من الأحياء والقرى والبلدات، كانتشار النفايات، عدم وجود شبكات للصرف الصحي، وجود أعداد كبيرة من البشر في بقعة جغرافية صغيرة، والإهمال في الإسراع في معالجتها، كلها عوامل تزيد من احتمال الاصابة وانتشار المرض".

ولفت إلى أن "انقطاع المساعدات الطبية التي كانت تصل عن طريق بعض الجهات في المعارضة، ساهم أيضاً في عدم القدرة على مواجهة المرض".

وكانت الهيئة الطبية في منطقة الريف الجنوبي للحسكة قد حذرت في وقت سابق من خطر كبير يواجه ريف الحسكة، بعد تعدد الحالات المصابة بمرض "اللشمانيا" نتيجة نقص كبير في الأدوية واللقاحات والمستلزمات الطبية التي من الممكن أن تواجه مثل هذه الحالات".

مرض اللشمانيا، مرض جلدي تسببه طفيليات " بروتوزوا" وهي من جنس المرض، ولها ثلاثة أنواع منها الحشوية والجلدية، ينقلها ذباب الرمل تصيب الأجزاء المكشوفة من الجسم

ومن علامات الإصابة بهذا المرض حمى متواصلة، وتضخم الطحال، الرعاف، شحوب، وفقر دم، إسهال وتضخم في الكبد.

الغاز في حلب "النظام" بالواسطة أو الطابور

■ حلب - عبير آغا

"يوقظني أبي عند حلول الفجر بشكل يومي بحجة واجب الصلاة، نقصد الجامع المقابل لبيتنا في حيّ المارتيني، نخرج من الجامع ونتوجه إلى مكتب المختار لنحظى بمكان أمامي في طابور الانتظار" يقول قتيبة واصفاً محاولات العائلة للحصول على أسطوانة غاز منزلي، ويتابع "أقضي ساعات الانتظار جالساً على الأرض ورأسي يتأرجح بين كتفيّ من شدة النعاس، لخمسة أيام متتالية لم ييأس أبي من الحصول على اسطوانة الغاز، يتجدد أمله كل صباح عند سماع الإشاعة الجديدة القديمة التي تقول إن سيارة الأسطوانات ستصل اليوم حتماً".

قتيبة ليس بحالة استثنائية في مناطق حلب التي يسيطر عليها النظام عسكرياً، مثله الآلاف من سكان أحياء عدة في المدينة التي تعيش منذ عامين مع انقطاع شبه تام للمادة، بينما تنشط سوق سوداء توفرها بأسعار مرتفعة، سوق يشرف عليها مسلحون موالون للنظام وسماسرة الحرب، ويلجأ السكان من ضعيفي الدخل إلى حلول بديلة لتأمين الطاقة.

يروي عدنان "كنت عائداً إلى منزلي، وقبل أن أصل بقليل، رأيت شباناً وعدداً من الأطفال يركضون بالاتجاه المعاكس، سألت بعضهم لماذا تركضون ولم يجبني أحد، لم يخطر لي سبب إلا أن هناك حملة لجمع الشبان وسحبهم للاحتياط، ما كان بي إلا أن وضعت كل ما أحمله على الارض وبدأت بالركض معهم في ذات الاتجاه، إلى أن وجدت نفسي وسط تجمع كبير حول سيارة محملة بأسطوانات الغاز، فتراجعت بخجل عائداً إلى منزلي، لأني لم أكن من المسجلين مسبقاً على اسطوانة الغاز"، ويضيف "رأيت عدداً من الأطفال الذين يحتفلون بالحصول على الغاز، وضعوا الأسطوانات المنتظرة أرضاً، وبدأوا بالغناء والدبك حولها".

أمام باب المختار

أوكلت السلطات مهمة توزيع الغاز لمخاتير الأحياء منذ عام 2012، ويذكر المختار فيصل (تحفظ عن ذكر اسمه الكامل) لجريدة سوريتنا "تم وضع مخاتير الأحياء في المواجهة مع الأهالي، مع أنه لا يتم تزويدنا إلا بكميات قليلة فقط، كما لا يتم إعلامنا بمواعيد دقيقة لوصول الغاز".

من جهته، يشير علي إلى أن "الوقوف في طابور الانتظار هو من نصيب أصحاب الدخل المحدود الذين بات عليهم انتظار كل شيء" ويقول أن "على المنتظرين أن يقوموا قبل شهر تماماً بتسجيل أسمائهم وبيانات عائلاتهم عند مكتب المختار، إضافة لتسليم الاسطوانة الفارغة" ويتابع "يعلمنا المختار أن نأتي لتسلم الجرة بعد حوالي الشهر دون موعد محدد".

غش ومتاجرة

كما هو حال كل شيء في سوريا، ظهرت سوق سوداء تتوفر فيها المواد الأساسية بأسعار مرتفعة، يقول أحد البائعين في السوق السوداء يدعى ابو سمعان "أوّفر على الناس عناء التسجيل والانتظار مقابل المال، نشتري الأسطوانات من عناصر الشبيحة أو الجنود المسؤولين عن إدخالها، الذين يسرقون نصف الكمية التي تدخل إلى حلب، ويبيعوننا إياها بأسعار مضاعفة عن تكلفتها، لنتاجر بها"، ويذكر أبو سمعان أن السعر الحر لأسطوانة الغاز "يتراوح من 5 إلى 9 آلاف ليرة تبعاً لعدد الأسطوانات المتوفرة، فيما يحصل عدد محدود من المسجلين والمنتظرين على الاسطوانة ب 1050 ليرة".

ويشتكي العم عبد الرحمن أحد قاطني المدينة من أنّ "معظم اسطوانات الغاز المتوفرة في حلب باتت مغشوشة، ويضيف "يقومون بملء قسم من اسطوانة الغاز بالماء لتعطي وزناً أكبر، نتمكن من كشف الغش عند نفاذ الغاز من الاسطوانة وسماع صوت الماء داخل الاسطوانة".

الحل في المطبخ

تقول أم علي أنه "بات على ربة المنزل في حلب أن تتمتع بمهارة إيجاد الحلول والبدائل لتدبر أمور المنزل، فمن الصعب أن يتوفر كل شيء في هذه المدينة"، وتضيف "لم يتوفر الغاز في منزلي منذ شهرين، أقوم بصنع خليط من الفحم والحطب، أستخدم الفحم لإشعال الحطب، لتحضير الطعام"، وتتابع "بدا الأمر مرهقاً إلا أني اعتدت فيما بعد الطهو بهذه الطريقة، حتى أنني أجد أن الطعام بات ألذ، وبالرغم من كل هذا العناء لم تكن كلفة اشعال الحطب قليلة، إذ يصل سعر الكيلو الواحد من الحطب إلى 65 ليرة والفحم لأكثر من 300 ليرة".
أما أبو علي فيضيف من جهته ساخراً "لم أتوقع يوماً أن نقوم بشوي اللحم على الفحم لتوفير استخدام الغاز".

إزالة الحواجز (الميتة) وفتح الطرق (الحيوية) في حلب

■ حلب - عثمان إدلبي

قام مجلس مدينة حلب بإزالة بعض الحواجز التابعة للأمن والجيش والتي كانت موجودة ضمن الأحياء السكنية الخاضعة لسيطرة النظام، حيث تم إزالة ثمانية حواجز كحاجز (جامع الرحمن، وجامع التوحيد، دوار السبيل، مدخل حلب الجديدة شمالي، طلعة الهجرة والجوازات، دوار أبو فراس الحمداني، جامع الغزالي، مدخل حي الشهداء)

ونقل إعلام النظام على لسان مدير مكتب هندسة المرور في محافظة حلب مازن جبل "نعمل بالتنسيق مع قيادة الشرطة لإزالة بعض الحواجز الأخرى وفتح بعض الطرقات المغلقة فنحن الآن نقوم بدراسات لإزالة بعض حواجز حي السليمانية والحمدانية ونقوم بتقديمها للجهات الأمنية".

وأوضح أن "الهدف من ذلك تخفيف الازدحام المروري في شوارع وسط المدينة وتسهيل تنقل الناس التي كانت تعقيها الحواجز الكثيرة".

لاقت هذه القرارات استحساناً كبيراً في الشارع الحلبي وخاصة قرار فتح طريق الكرة الأرضية حيث خف الازدحام المروري في ساحة الجامعة ونزلة أدونيس والجميلية.

يقول أبو عبدو وهو سائق سرفيس على خط صلاح الدين - فيض "إن قرار فتح طريق الكرة كان يجب أن يصدر منذ سنتين كون الطريق آمن وهو شريان حيوي في المدينة".

ويضيف أبو عبدو "قبل فتح الطريق كانت تستغرق معنا اللفة الواحدة أكثر من 45 دقيقة بسب المسافات الطويلة التي يجب أن نقطعها وبسبب الازدحام المروري في بعض المحاور الرئيسية كساحة الجامعة، أما بعد فتح الطريق فاللفة كلها لم تعد تستغرق 15 دقيقة".

أما لؤي ابن حي السبيل مازالت معاناته مع الحواجز قائمة حتى بعد إزالة بعضها فيقول "قامت المحافظة بإزالة حاجز واحد في حينا وهو الحاجز الوحيد الذي لا يضايق أهالي الحي ولا يوقف السيارات والمشاة ولا يفتش البضائع أما الحواجز التي تسبب مضايقة للناس فمازالت موجودة".

ويصف بعض الحلبيين قرار إزالة الحواجز بالمبادرة الجيدة في حين وصف آخرون هذه القرارات بغير المجدية كونها لم تساهم بشكل فعال في إعادة الحيوية للمدينة. ويروي لنا التاجر مهند عن معاناته في تسويق بضائعه داخل مدينة حلب "فرحت جداً عندما سمعت بقرار إزالة بعض الحواجز في وسط المدينة فتأملت أن تنتهي معاناتي اليومية مع حواجز النظام عندما أقوم بتوزيع بضائعي، ولكن عندما ذهبت إلى العمل في اليوم التالي لم يختلف علي شيء فمازالت حواجز النظام تُقطعُ أوصال المدينة، ومازالت معاناتي على حالها فكل يوم تتعرض بضائعي للتفتيش أكثر من 20 مرة حتى انتهي من توزيعها كما يقوم بعض عناصر الحواجز بالسرقة من البضائع ناهيك عن الرشاوى التي أضطر لدفعها حتى يسمحوا لي بالمرور".

وكان التلفزيون السوري نقل عن محافظ حلب الدكتور محمد مروان علبي أن قرار إزالة الحواجز جاء استجابة لطلب شركة النقل الداخلي في حلب، إلا إن مصدر خاص بسوريتنا من داخل قيادة الشرطة في حلب أفاد أن هذه القرارات جاءت بأمر من رئيس فرع الأمن العسكري في حلب وأن المحافظ لا يمتلك الصلاحيات التي تمكنه من إزالة أي حاجز في المدينة، كما نفى المصدر ذاته ما تناقلته بعض وسائل الإعلام وصفحات (الفيس بوك) المؤيدة عن استبدال حواجز الجيش بحواجز تابعة للشرطة، وأضاف المصدر أن هناك تعليمات جديدة أبلغت فيها الحواجز تفيد بزيادة التشديد على الشبان والبحث عن المتخلفين عن الخدمة الإلزامية.

ويؤكد أحمد، شاب من مدينة حلب، ما أورده مصدرنا بقوله "لاحظت أن الحواجز لم تعد تطلب الهويات (لتفيشها) بل أصبحت تطلب دفتر الخدمة العسكرية وأصبح همها الوحيد اصطياد المتخلفين، كما أن الشرطة العسكرية كثفت من دورياتها وحواجزها الطيارة في الأماكن الحيوية في حلب، حيث يوجد في حلب ثلاث دوريات للشرطة العسكرية ينصبون حواجز طيارة طيلة اليوم وفي كل ساعتين يغيرون مكان حاجزهم وأبرز الأماكن التي يتواجدون فيها (جسر المحكمة العسكرية، الموكامبو، نزلة أدونيس، معهد الإخوة، ساحة الجامعة، باب المدينة الجامعية)".

بعد عودتهم إلى ديارهم، أبناء الشعيطات يكتشفون مقبرة جماعية

■ دير الزور - عادل العايد

اكتشف أبناء عشيرة الشعيطات في دير الزور، يوم الخميس الماضي، مقبرة جماعية في بادية الكشكية تضم قرابة 230 جثة، بعد يومين من سماح تنظيم "الدولة الإسلامية" بعودة الأهالي إلى القرية.

وأكدت مصادر من "حملة دير الزور تحت النار" بالاعتماد على الصور التي تم توثيقها، أن جميع الجثث تعود إلى مدنيين بينهم أطفال، وجميعهم يرتدون ملابس الزي الشعبي المعروف في المنطقة، ولا يوجد أي زي عسكري على تلك الجثث".

يقول سامي أحد أبناء عشيرة الشعيطات "أغلب الجثث وجدت متحللة، ومن الصعوبة بل من المستحيل التعرف عليها، وتم التعرف على أكثر من عشر جثث فقط من العدد الكلي لها، بالاعتماد على بقايا ملابسهم بشكل أساسي".

وعن الأماكن التي وجدت فيها الجثث يضيف سامي "العدد الأكبر من الجثث وجد في منطقة الحاوي (بادية الكشكية)، فيما وجدت أخرى في الحقول أوفي البيوت أو المحال التجارية في بلدة الكشكية، كما وجد أهالي بلدة غرانيج 28 جثة أيضاً تعود لأبناء بلدة الكشكية في إحدى مدارس بلدتهم".

وكان تنظيم "الدولة الإسلامية" اشترط عدة شروط على العائدين من أبناء العشيرة، أهمها الامتناع عن قتال التنظيم، وتسليم ما لديهم من أسلحة حيث سلموه أكثر من 4500 قطعة سلاح، والالتحاق بدورات شرعية.

وتنتمي عشيرة الشعيطات إلى قبيلة العقيدات كبرى قبائل دير الزور، وتقطن في ثلاث بلدات، هي " غرانيج والكشكية وأبو حمام" وتعدادها أكثر من 120 ألف نسمة، وقد سمح التنظيم بعودة أهالي قريتي غرانيج والكشكية، فيما يرفض حتى الآن عودة أهالي قرية أبو حمام إلى ديارهم.

سلاح الشعيطات الذي سلم لداعش

وتعود بداية الصدام بين عشيرة الشعيطات و"تنظيم الدولة الإسلامية" إلى بداية شهر آب الماضي، حيث قامت عشيرة الشعيطات بتمرد مسلح ضد التنظيم، إثر اعتقال عناصره لعدد من أبنائها، واستطاعت تحرير بعض القرى في ريف دير الزور الشرقي وقتل وأسر عدد من عناصر التنظيم، إلا أن الأخير شن هجوم واسع وعنيف على القرى التي يقطنونها مما أدى إلى مقتل المئات من أبنائها وتهجير السكان من بيوتهم، وتمت ملاحقتهم من قبله حتى في الأماكن التي نزحوا إليها.

ولا يزال مصير المئات من أبناء عشيرة الشعيطات مجهولاً منذ دخول التنظيم إلى منطقتهم مما يدفع أهاليهم وذويهم للتخوف من مصير مشابه قد ألمّ بهم.

الناشط أبو مجاهد من ريف دير الزور الشرقي، وأحد القائمين على توثيق أسماء الضحايا يقول "نواجه صعوبة كبيرة في عملنا، لذلك نكتفي في الوقت الراهن بتوثيق أسماء من تم التعرف عليهم من قبل ذويهم، ودفن من تبقى إلى أن تصبح الظروف أفضل لتوثيق الأسماء، خاصة مع عدم وجود خبرات للكشف عن هوية الجثث".

ويؤكد أبو مجاهد على أن هنالك حالة استياء لدى السكان، جراء اكتشاف هذه المقبرة وخصوصاً لدى أبناء عشيرة الشعيطات، في ظلّ تخوف لدى السكان والناشطين من عمل مشابه يقدم عليه التنظيم بحق عشائر أو مناطق أخرى.

8.4 مليار دولار.. ما تحتاجه الأمم المتحدة لمساعدة السوريين

طالبت الأمم المتحدة الأسبوع الفائت في برلين المجتمع الدولي، تأمين مبلغ 8، 4 مليارات دولار لتغطية كلفة المساعدات لنحو 18 مليون شخص في سوريا والدول المجاورة لها.

وأفادت الأمم المتحدة أن هناك حاجة ل2.9 مليار دولار خلال العام 2015 لمساعدة 12.2 مليون شخص داخل سوريا، و5.5 مليار دولار أخرى لمساعدة السوريين الذين فروا إلى دول مجاورة مثل لبنان والأردن بينما دعت منظمة اليونيسف لتوفير 903 ملايين دولار لأطفال سوريا.

ويفوق هذا المبلغ الرقم الذي أعلنته الأمم المتحدة في مطلع كانون الأول في جنيف والذي بلغ 7، 2 مليارات دولار.

وقال رئيس المفوضية العليا للاجئين «انتونيو غوتيريس» في تصريح صحافي رداً على «الذين يقولون ان هذا المبلغ كبير» أنه لا يتذكر «أن تعويم أي مصرف متوسط الحجم قد كلف أقل من هذا المبلغ».

وأضاف «أن الحرب في سوريا تتفاقم مما يطيل أمد الحالة الإنسانية، وقد استنفد اللاجئون والنازحون مدخراتهم ومواردهم، وبلغت البلدان المضيفة حد الانكسار، ونحتاج اليوم لهيكل جديد للمعونة يربط دعم اللاجئين بما يجري القيام به لضمان استقرار المجتمعات التي تستضيفهم».

في السياق أشارت اليونيسف في بيان لها، إلى أنها «ستسعى إلى إيصال الرعاية والدعم لحوالي 850 ألف طفل متأثر بالنزاع بشكل مباشر».

وأكدت أن «الأزمة السورية تمثل أكبر تهديد للأطفال في وقتنا الحالي»، محذرة من أنه «في نهاية عام 2015 ستكون حياة أكثر من 8.6 مليون طفل قد مزقت بفعل العنف والتهجير القسري في المنطقة، مقارنة بسبعة ملايين طفل قبل شهر واحد فقط».

الحسكة خارج العالم الافتراضي، والحلول تركية وعراقية

■ القامشلي - ميديا أبو زيد

ظهرت مشكلة الاتصالات في سوريا كنتيجة لتداعيات الأزمة على كافة الأصعدة، وبحسب مؤسسة الاتصالات في محافظة الحسكة فإن الانقطاع الذي تعاني منه الحسكة منذ سنتين سببه الضرر الذي لحق بالكابل الرئيسي، وقد أخذت هذه المشكلة تتفاقم يوماً بعد يوم، لذا كان من الضروري البحث عن حلول بديلة. فالمناطق القريبة من الحدود التركية اتخذت من الشبكة التركية بديلاً عن الشبكة السورية (الإنترنيت والاتصال)، كذلك تستخدم الشبكة العراقية في المناطق القريبة من الحدود العراقية.

محمد سعيد، 32سنة من مواطني مدينة القامشلي، يقول: "أحتاج إلى التواصل مع إخوتي في المهجر، كذلك لتيسير أعمالي داخل البلاد، انقطاع الشبكة السورية في المحافظة أثر بشكل كبير على التواصل داخل وخارج المحافظة".

أما المناطق البعيدة عن الحدود، فلا تزال الاتصالات مقطوعة فيها، إلّا في بعض الأيام القليلة، حين تعاود الشبكة السورية بثها. وقد استعاض أصحاب مقاهي الانترنيت عن شبكة الانترنيت السورية بالإنترنيت الفضائي، التي تجلب من العراق وتركيا، وثمة العديد من المقاهي التي بدأت بالعمل من خلال أجهزة الانترنيت الفضائية.

أحمد علي، 35 سنة وهو صاحب مقهى انترنيت في مدينة الحسكة، يقول: "شهرياً ندفع من 600 إلى 800 دولار لإعادة تعبئة الرصيد، عدا مصاريف الكهرباء ورواتب العاملين، وهذا ما يجعل سعر الساعة الواحدة مرتفعاً نوعاً ما، ويصل إلى 150 ل. س"، ويردف قائلاً: "لهذا السبب لم يعد المواطن يرتاد المقهى إلّا عند الضرورة".

كما ظهرت مشكلة لدى العاملين في الدوائر الحكومية، الذين أصبحوا يقبضون رواتبهم عن طريق الصرافات الآلية التي انتشرت في السنوات الأخيرة في سورية، لذا بات الموظف الحكومي أسير شبكة الانترنيت التي غدت شبه معدومة.

مازن خلف، 36 سنة، وهو مدرّس، يتحدث عن هذه المشكلة قائلاً: "حبذا لو نرجع إلى الطريقة القديمة في قبض الرواتب، على الأقل لن أفكر بشبكة الانترنيت، كذلك لن أقف لساعات طويلة في طابور أمام الصراف الآلي".

كثرت الوعود بتأمين وسائل الاتصال في منطقة الجزيرة من قبل الجهات المعنية، ولكن لم تنفذ أيّ من هذه الوعود حتى الآن، بل باءت جميع محاولاتها بالفشل، وظلّت الاتصالات مقتصرة على توافر الشبكة التركية والعراقية فقط، دون الاعتماد على شبكة الاتصالات السورية.

محلات الهواتف النقالة أيضاً بدأت التعامل مع الشركات التركية، من خلال تسجيل الهواتف في تركيا وتعبئة الأرصدة، وبات عملهم مرهون بقيمة الدولار والليرة التركية، الشيء الذي أثر على العمل والتعامل مع الزبائن.

شيخو علي، 40 سنة، صاحب محل هواتف نقالة، يقول: "سعر تعبئة الرصيد غير ثابت، لذا ثمة نوع من عدم الثقة في تعامل الزبائن معنا".

العمل الصحفي والذي يحتاج إلى شبكة انترنيت ذو سرعة عالية، يعاني ممارسوه الكثير من المتاعب في إيصال المواد الصحفية، وخاصةً المصورة منها، وقد لجأ العاملون في هذا المجال إلى المراكز التي توجد فيها الانترنيت الفضائي، أو المقاهي التي بدأت تستعمل شبكة الانترنيت التركية نفسها، والتي تبث من خلال أجهزة البث من داخل تركيا، مؤخراً، بدلاً عن المودم التركي(الفلاش)، الذي لم يعد يفي بالغرض أبداً.

زانا عمر، 32 سنة، مراسل صوت أمريكا في مدينة القامشلي، يقول: "لا بد من وجود شبكة انترنيت تساعدنا في اختصار الوقت، لأن عملنا يتطلب السرعة في إيصال التقارير إلى الجهة الإعلامية التي نعمل معها، كنت أملك (فلاش) تركي، خط (آفَيّا)، لكن اعترضني الكثير من المشاكل، لذا ألجأ دوماً إلى أصدقائي ممن يملكون الانترنيت الفضائي، أو أرتاد إحدى المقاهي".

لا يزال سكان محافظة الحسكة يتّخذون من الشبكة التركية وسيلة الاتصال الرئيسية التي تمكّنهم من التواصل والاستمرار بأعمالهم التي تتطلب وجود شبكة الاتصالات، ولكن الحاجة للشبكة في تزايد، ولا بدّ من إيجاد حل للحدّ من تأثير هذه المشكلة التي شكّلت عائقاً، وقضية يعاني منها معظم الشعب السوري في المناطق التي لا تتمتع بأي وسيلة من وسائل التواصل.

بساق واحدة.. طفل سوري يفوز بجائزة دولية لمشاركته بفلم تركي

فاز الطفل السوري، أحمد الأحمر، الذي فقد ساقه اليسرى نتيجة قصف تعرض له منزله في حلب، بجائزة في مهرجان ملاطية الدولي الخامس للفيلم في تركيا، عن دوره في فيلم تركي قصير، صُور في المخيم الذي يقيم فيه بولاية ملاطية التركية.

وصعد أحمد، 5 أعوم، على خشبة المسرح مستندا على عكازيه، ليتسلم جائزته من زوجة والي ملاطية، وسط تصفيق حاد من الجمهور.

وقال أحمد لوكالة «الأناضول» معبرا عن مشاعره في تلك اللحظة «لقد صفق الجميع لي، وشعرت بسعادة كبيرة».

وأضاف أنه «سيحتفظ بالجائزة ويعتني بها، كما أعرب عن رغبته في أن يصبح مثل بطل مسلسل وادي الذئاب التركي الشهير مراد علمدار، أو مثل الفنان التركي إبراهيم تاتليسيس، عندما يكبر».

وتحدث أحمد، الذي لجأ مع والديه وأخيه وأخته إلى تركيا منذ 16 شهرا، عن «خوفه من الحرب، وعن حزنه على منزلهم الذي تهدم في حلب»، إلا أنه أعرب «عن رغبته في العودة إلى سوريا، قائلا إنه يشعر بالشوق لجديه اللذين بقيا هناك».

عمار ورؤى، شابان عقدا قرانهما وسط ركام حمص

■ حمص - نوال المعصوم

طوال ثلاث سنوات وأكثر، لم تعرف حمص مجالس العزاء والجنازات، رغم آلاف الوفيات التي سجلت في أحياء المدينة، بصمت تام يترافق مع الخوف كان الدفن يتم في قبور تجهز على عجل، الصمت والعجلة استمرا مع انخفاض أرقام القتلى وانتقلا لحفلات الزفاف التي اقتصرت على الحد الأدنى من الابتسام والفرح، بحسب وصف عمار ورؤى الشابان اللذان عقدا قرانهما في حمص القديمة في ظروف خلفتها الحرب على مدينتهما.

عمارٍ شابٌ في أواخر العشرينيات ويعملُ حلاقاً، تحدث عن تجربته الحديثة في الزواج قائلاً: "لا أستطيع أن أجعل الأزمة تقف في طريق حياتي فالأمور تبقى على حالها بل وأحياناً تزداد سوءاً فماذا أنتظر؟ لن يتغير شيءٌ بعد ذلك، استطعتُ أن أجمع بعض المال من عملي والحمدلله، والناس أصبحت اليوم تركز على من "يسترُ" على بناتها دون الاهتمام بالنقد الكثير، أثناء بحثي عن بنت الحلال واجهتُ العائلة الطمّعة والعائلة الميسورة والعائلة التي تجمعُ لقمة عيشها بتواضع مثل حالي، إلا أن بعض الذين قابلتُهمً كانوا من العوائل التي تُضيّقُ على الشاب المتقدّم لابنتهم! كأن يطلبوا منه بيتاً متملّكاً والكثير من مئات الآلاف للمهر! غير آبهينَ بالظروف التي يعيشها الشباب من شحٍّ في الوظائف وقلة الموارد المالية، لكني وجدتُ من يرضى بالحال الذي أنا فيه وأقمنا ما نسميه في حمص بالـ "صمدة" وهي احتفالٌ صغيرٌ يُقام في المنزل للأهل والمعارف المقرّبين، وكان ذلك في فترة الظهيرة، ولسوء حظي قطعت الكهرباء في منتصف الاحتفال وبالكاد استطعنا أن نفرح حيث عادت الناس لأسلوبها القديم، النساء يغنينَ بأنفسهن لأن المسجلات توقفت عن العمل، لكن لا بأس ما باتَ يهمّنا أكثر هو استمرار الحياة أما هذه الظروف فالجميع يعاني منها" .

كانت الأعراس في حمص "تبدأ" من الساعة العاشرة مساءً إلى فجر اليوم التالي، دون أيّة مخاوف، أما اليوم فالأعراس إن استطعنا تسميتها بذلك- أصبحتْ تُقامُ ضمن مأدبة غداء في منتصف النهار، حيث الليل الحمصي يحمل من الخوف ما يجعل الناس تتردد في الخروج في وقته، على الرغم من أن بعضهم يستطيع الخروج في زيارات متواضعة إن كان ذلك ضمن حيّهم فقط.

أما رؤى، وهي الطرف الأكثر راحةً نوعاً ما في المعادلة الزوجية، فالعبءُ أخفّ عليها من عمار، تحدّثت عن زواجها من رجل ميسور الحال يعملُ لصالح منظمةٍ تابعةٍ للأمم المتحدة، "تقدّم لخطبتي الكثيرون، لكن أحوالهم ليست بالجيدة جداً، والدي متوفّى وبيتُنا صغير، أريد أن أعوّضَ حياتي مع شخص بإمكانه أن يجعلني أعيش حياةً لا أطلب فيها شيئاً أكثر".

تضيف رؤى :حين تقدّم لي زوجي وجدتُ في قبولي له مستقبلاً جيداً، راتبه جيد ويكفيني لكل ما أريد، تعذّبنا كثيراً حتى وجدنا منزلاً نستأجره فالمنازل ما عادتْ تُؤجّرٍ سوى للعائلات النازحة أو يطلبون مبلغاً هائلاً سلفاً! صراحةً لا أحد يعرفُ إلى متى سيصمد هذا المنزل في ظل هكذا ظروف، أما عن حفلة الزواج فهي حتماً لم تكن كالأعراس سابقاً، فالظروف التي نعيشها لا تعطيني حقي الكامل في الاحتفال ناهيك عن أنه ليس هناك صالات أفراح ومقوّماتٌ للاحتفال، دعوتُ بعض الأهل والأصدقاء إلى فنجان قهوة وبعض الشوكولا والملبّس وكان ذلك عند وقت الغداء، وعن أغراض منزلي فماذا أقول؟!، كانت الأسواق المتخصصة بذلك موجودةً في السوق المسقوف وسوق الناعورة وهذان السوقان أصبحا تحت الركام، حاولتُ أن أبحث عما يناسبني في حاراتنا المتبقية رغم عدم وجود التجار الأكفّاء بذلك، و وجدتُ أخيراً ما يناسبني لكن بأسعارٍ باهظةٍ جداً" .

يُجمِعُ أهل حمص اليوم على أن الزواج حقٌ وواجبٌ لكي تستمر الحياة، ويعتبرون أن عليهم أن يُنجبوا أجيالاً جديدة تنهض بالمدينة حين يحين الوقت لذلك، رغم ظروف المعيشة والأحوال الاقتصادية الضيقة التي لا تساعد الحماصنة في خططهم وأفكارهم.

نصبان تذكاريان في اللاذقية يفجران غضب السوريين

■ اللاذقية - ميس الحاج

دُشن في مدينة اللاذقية نصبيين تذكاريين في بلدة عين الشرقية، لنحات يدعى ممدوح محمد حملا من قرية الشرقية، حمل أحدهما اسم "جنديان في وقفة عز".

وفور نشر الصور الخاصة بالعملين ضجت مواقع التواصل الاجتماعي بالآراء الرافضة لهما، ناشطون معارضون قالوا إنه "وحش لتخويف الأطفال من أجل النوم" أو ربما من أجل "إخافة الارهابيين"، فيما سخر غيرهم بوصفهما "تجسيد لشخصية الرئيس السوري بشار الأسد في نظر مؤيديه"، وأضاف أخرون بأنهما يمثلان "من يقف إلى جانب النظام ويدعمه وتشبهه".

جاء ذلك في وقت تخسر فيه قوات النظام السوري مواقع هامة جدا في المعارك

الدائرة في معسكري وادي الضيف والحامدية في إدلب، مما زاد من حدة النقد على هذه المجسمات من بعض المؤيدين، الذين اعتبروها مهينة لهم ولأرواح شهدائهم، يشار إلى أن ازاحة الستار عن هذا النصب جاءت بحضور شخصيات رسمية من محافظة اللاذقية أبرزها محافظ مدينة اللاذقية إبراهيم خضر السالم، وأمين فرع حزب البعث الحاكم في سوريا محمد شريتح، ومدير الثقافة في المحافظة مجد صارم.

أبو غابي في "حجاز حرب" من المخيم وإليه

■ عامر محمد

لأكثر من تسع مرات دخل أبو غابي الاستديو كي يضع صوته على أغنية «سوريا»، ولم يستطع إلا في المرة الأخيرة بوضع صوته على الموسيقى المستقاة من لحن شعبي من تراث جبل العرب في سوريا، كانت تتعبني حقاً، يقول أبو غابي الفنان المتمرس والذي لم يعش طقساً كهذا إلا مع هذه الأغنية، نعم الأغنية حين تسمعها ستجعل عيناك تدمع، لا لأن الثواني الأولى من الأغنية يرقص فيها الناي مع العود والكلارينت، ولا لأن صوت أبو غابي يحمل سحراً خاصاً يبوح فيه ولا يغني فقط، ولا لأنها سهلة ممتنعة ولا تحمل المباشرة التقليدية في الفن الذي عادة ما يوجه للأوطان، بل ربما لأن فيها من كل هذا وذلك يحبها أبو غابي، وهذا ليس بلقب لأي أبو غابي ـ كما يقول لسوريتا، بل بات اسمه الحقيقي الذي منحه إياه صديق يطلب له الرحمة ويعتقد أنه قضى في الحرب، صديق آخر من مخيم اليرموك المحاصر بجنوب دمشق يفتقده الفنان خلال حرب البلاد التي حملت للمخيم كارثة مظلمة ومستمرة، زكريا مرعي الذي أعدمته جبهة النصرة في اليرموك قبل أيام.

غيرت الحرب أولويات الجميع في سوريا، فأعادوا ترتيب حيواتهم وفق لما تركته الحرب عليهم، أبو غابي الذي تخرج من كلية الإعلام في دمشق، كان غنياً مع التجارب الإعلامية التي ظهرت في المخيم وفي عموم سوريا، إذ قدم سلسلة من الحلقات بشكل Stand up comedy» ضمن مشروع رد فعل، فيما قدم حلقات إذاعية عبر الإنترنت، هنا يذكر أبو غابي شهيداً جديداً من اليرموك، حسان حسان، الفنان الذي قضى في 17/12/2013»، والذي أهدى لروحه أبو غابي «العين بصيرة» من ذات الألبوم، واليوم استسلم أبو غابي تماماً أمام العمل في الإعلام، تأخذه الموسيقى والغناء إلى حيث يريد، ويقول فيها كل ما يريد.

تدرب صوت أبو غابي في فترات عدة وتتلمذ فيها، فمن منزله مع والده استاذ العود، ثم رحلته مع المنشد الاذربيجاني حميد أسد اللّه في حلب، المدينة الساحرة كما يصفها، التي تعرف فيها على أصوات كبيرة، ثم زار أورفا التركية التي تحتضن أكبر مهرجان للموسيقى الصوفية في العالم، وهكذا صُقل الصوت وتشذب وظهر كما نسمعه اليوم، رغم أن أبو غابي كان يظن أن ما تريده الناس ليس هذا النوع من الغناء، بل ذلك الرائج الذي تبثه الإذاعات عادة، بعد الحرب قرر أبو غابي أن يمضي في مشروعه الغنائي « لم يعد هناك مهرب» يقول.

«لولاك» المشروع الأهم يقول أبو غابي، المقطوعة التي عمل فيها مع «أسلوب» من فرقة الراب «الكتيبة ٥» ومع عازفين كبار من العالم، أربع دقائق وثمانية وأربعين ثانية، يعلو فيها صوت أبو غابي منشداً ومطرباً، بشعر الحلاج، المشروع الذي خلق في بيروت والتي انتشر فيها صوت أبو غابي بشكل لم يكن يتوقعه، لكن المشروع الأكبر والدائم الذي يصعب الخلاص منه، هو همّ الشعب السوري وهمّ مخيم اليرموك، المخيم الذي يترك أبو غابي أمام شعور يسميه «العجز» رغم أنه غنى له ثلاث أغانٍ وقدم له فيلماً.

ماذا يريد الفلسطيني السوري اليوم؟، ما يريده أبو غابي هو أن يغادر كل لاجئ فلسطيني هذه الأرض العربية، التي طالما تاجرت به، أرضه هي فلسطين التي لا طريق لها اليوم، فلتكن المرحلة القادمة في أرض ليست عربية، ويقول «نحن اليوم لا نملك إلا أن ننتظر أن يأتي اليوم الذي نستطيع فيه أن نعمر سوريا من جديد».

«طلعنا من بيوتنا « ليست مجرد أغنية في ألبوم «حجاز حرب» لأبو غابي، بل هي لحظات ما بعد الميغ التي ضربت المخيم «2012\12\16»على الرصيف خارج المخيم وقف أبو غابي مع عائلته حيث لا مأوى الآن هنا كُتبت الأغنية، وهذا هو حال الألبوم كاملاً الذي لم تتم كتابته سلفاً يؤكد أبو غابي، الفنان الفلسطيني السوري الذي عاش الحصار والقصف والاعتقال وطبعا اللجوء.

السيطرة على النفط السوري تشعل الحرب بين الكرد وداعش

مقال مترجم من صحيفة (وول ستريت جورنال) الأمريكية
2014 / 11 / 23

■ ترجمة وتحرير: منصور العمري

تتصاعد أعمدة الدخان الأسود في أفق اليعربية، هذه المدينة الحدودية في منطقة شمال شرق سوريا الممتدة كالإبهام الذي يخز تركيا والعراق المجاورتين.

ليس الدخان نتيجة للحرب، ولكنه يرتفع نتيجةً للمعركة القاتلة على الموارد بين "داعش" والمقاتلين الكرد. يعمل الرجال والنساء والأطفال في الآلاف من الأفران البدائية لتكرير النفط الخام والذي توزعه الأطراف المتحاربة لشراء الولاء. كما يبيع السكان الوقود الذي يصنعوه إلى تجار السوق السوداء.

نتيجةً لتحول النفط الآن إلى الدخل الثابت الوحيد في هذه المجتمعات الريفية الفقيرة، تُقدم الأطراف المتحاربة هذا الخيار: حاربنا لتموت أو انضم إلينا واكسب لقمة عيشك.

تسعى الولايات المتحدة لتوسيع نطاق دعمها للقوات الكردية التي تقاتل "داعش" من أجل السيطرة على المدن والقرى حول نهري دجلة والفرات. ويتصف هذا الصراع بالقتامة المشابهة للحمأة التي تتسرب من أفران بدائية الصنع على هذه الأرض التي رعت فيها المواشي وفلحها البشر منذ العصور التوراتية.

يقول أحد رجال القبائل البالغ من العمر 27 عاماً، "يحرص العرب المحليين على الحصول على دخل النفط ولكن معظمهم لا يرتاحون للكرد بقدر ما يخشون "داعش". " وتسيطر "داعش" على معظم الجزء الجنوبي من محافظة الحسكة في سوريا وعلى محافظة دير الزور المجاورة كلها تقريباً، وهي المناطق الغنية بالنفط والغاز، وكذلك معظم محافظة الرقة المجاورة. وتَعتبر "داعش" محافظة الحسكة جزءاً لا يتجزأ من "الخلافة" التي نصبت نفسها لها والتي تمتد حالياً من ضواحي المدينة السورية حلب الشمالية حتى هوامش بغداد عاصمة العراق.

يستخدم متشددو "داعش" أموال النفط لتأمين الولاء ودعم حربهم، وفقاً لمقابلات مع زعماء القبائل، ومتشددين من "داعش" ومسؤولين في الجيش والمخابرات الكردية. ويتقاسم هؤلاء الأرباح مع شيوخ العشائر وأتباعهم أيضاً وتحافظ "داعش" من خلالها على إمدادات ثابتة لمجنديها. وتقدر الأمم المتحدة وبعض المحللين أن "داعش" تنتج ما يقرب من 50 ألف برميل يومياً من حقول النفط التي تسيطر عليها. ولا يتضح مدى تأثير الضربات الجوية الأخيرة للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد المنشآت النفطية المستخدمة.

استولت قوة شبه عسكرية كردية مكونة من 30 ألف مقاتل تقريباً على القسم الشمالي من محافظة الحسكة واقامت منطقة حكم الذاتي أنشأت المحاكم وأصدرت قوانين في محاولة للحكم الذاتي الدائم في المناطق ذات الأغلبية الكردية في سوريا. تتحكم هذه القوة التي تُدعى (وحدات حماية الشعب) أيضاً بآبار النفط وتبيع النفط الخام بسعر مخفض لرجال القبائل العربية المحلية، وتوفر دخلاً للمقاتلين والأسر الكردية المحلية.

ينتج الكرد نحو 40 ألف برميل من النفط الخام يومياً من الآبار التي يسيطرون عليها، وفقاً لمسؤولين كرد هناك، والذين أضافوا أن بعض منه يباع لمشغلي أفران التكرير ومعظمهم من العرب بسعر 15 دولار للبرميل. وقال أحد مشغلي أفران التكرير إن ثمانية براميل من النفط الخام تنتج ما يقرب من ستة براميل من البنزين أو وقود الديزل، والتي تباع بسعر وسطي 40 دولار للبرميل. هناك ما يقدر بـ 3000 فرن للتكرير في المناطق التي يسيطر عليها الكرد، وقال مسؤولون إنها جميعاً أنشئت منذ بداية الحرب الأهلية في سوريا.

كشفت مقابلات مع مقاتلين سابقين في "داعش" محتجزين الآن كأسرى من قبل الكرد، فضلاً عن المقابلات الهاتفية مع السكان في الأراضي التي تسيطر عليها "داعش" عن أوجه التشابه في كيفية عمل الجانبين لإنتاج النفط.

مثل الكرد، تبيع "داعش" بعض النفط الخام لمشغلي الأفران والمصافي بأسعار مخفضة، كما توظف السكان المحليين بشكل مشابه لما يفعله الكرد من أجل حماية وتشغيل حقول النفط أو الانضمام لصفوفهم كمقاتلين مع رواتب عالية تصل إلى 100 ألف ليرة سورية في الشهر، أي حوالي 512 دولار أمريكي.

العنف الذي يلهب المتطرفين (الإسلاميين السنّة) في "داعش" ضد جميع المسلمين وغيرهم من جميع الأديان الأخرى، يركز هنا بدلاً من ذلك على السيطرة على الأراضي والموارد والطرق والمعابر الحدودية التي توفر الإيرادات.

قال حميدي دحام الجربا إن "المكاسب المادية هي ما يقود هذه الحرب، لا أحد لديه مبادئ"، وهو السبعيني المعترف به باعتباره واحد من قادة شمر، إحدى أكبر القبائل البدوية في منطقة الشرق الأوسط. وأضاف: "على حد ما أستطيع أن أتذكر، لم يكن لدى هذه المحافظات الثلاث اتجاه خاص بهم أبداً، وهي دائماً مع الأقوى على الأرض. "

حميدي الجربا، الذي لديه قوات مشتركة مع الكرد، والتي شكلت مؤخراً باسم ميليشيا شمر للمساعدة في محاربة "داعش" التي تتربص أقرب 20 ميلاً إلى الجنوب الغربي، حصل في شهر يوليو / تموز على منصب فخري كحاكم لكانتون الجزيرة، واحدة من مناطق الحكم الذاتي الكردية الجديدة.

شكلت عناصر مسلحة من ميليشيا السيد الجربا الجديدة، جماعة (جيش الكرامة) وتحرس مداخل مقره الذي يحتوي على غرف مجهزة بالأرائك الممتدة لاستضافة الاجتماعات القبلية. يرتدي عديد من الحراس كوفيات حمراء وبيضاء، أو أغطية للرأس، وحقائب بنادق جلدية. ناقلات الوقود والسيارات رباعية الدفع وشاحنات صغيرة مسرعة على الطريق الرئيسي.

يشكل تكرير النفط مورد رئيسي في قرية علي آغا، وهي قرية مجاورة اعتمدت على الزراعة حتى عام 2005 حين داهمتها خمس سنوات من الجفاف. معظم السكان الأربعمئة المتبقين لديهم منازل مصنوعة من جدران من الطوب وسقف من الطين والقش وأعمدة الخشب. يعتمدون على المولدات الصغيرة لتوليد الطاقة. ويحصلون على المياه من الآبار القريبة. أما مياه المجاري فتمر عبر أنابيب البلاستيك لتفريغها خارج القرية. هناك مدرسة واحدة حتى الصف التاسع.

في اتفاق أشرف عليه السيد الجربا ويكرره في قرى أخرى، تعهد السكان بدعم القوات الكردية، وإدانة أي شخص ينضم لـ"داعش". يقول أحد السكان: "الحياة صعبة ونكافح لوضع الطعام على الطاولة فقط"، ورغم ذلك يرى قريته أفضل حالاً من غيرها في المنطقة.

قال محللون إن التاريخ المضطرب في المنطقة في ظل النظام السوري، والذي استخدم أيضاً أموال النفط لمكافأة ومعاقبة الكرد المحليين والعرب، مهد الطريق لاجتياح "داعش" هذا الصيف. وليس لدى قوات الحكومة السورية الآن سوى وجود محدود في مدينتين في المنطقة.

على امتداد الطريق خارج اليعربية، أقام أحد السكان المحليين محطة البنزين مؤقتة لبيع الوقود المكرر في فرن قريب وأسماها (محطة أبو لؤي). وعلى واحدة من خزانات الغاز رسم كلمة (تكبير).

بدأ حافظ الأسد والد الرئيس الحالي توطيد سلطته عام 1970، وسعى لإخضاع المناطق القبلية الغنية بالموارد الطبيعية، وفقاً لسكان وشيوخ القبائل. وأعاد توطين العرب في أجزاء أخرى من سوريا هنا، مع منح الأكثر ولاء أفضل الأراضي. تفككت البنى القبلية والاجتماعية المحلية في تحول السلطة. وكان الكرد أكبر الخاسرين الذين تم إعادة تسمية بلداتهم وقراهم باللغة العربية.

في السنوات التي سبقت الانتفاضة ضد الرئيس بشار الأسد في مارس/ اذار 2011، كانت مكافأة الناس الذين تعهدوا بالولاء للنظام هي الوظائف والأعمال في الزراعة والنفط والتجارة. ومع اندلاع الحرب الأهلية، ركز نظام الأسد على حماية دمشق ومدن أخرى إلى الغرب، والتخلي عن الأراضي والموارد إلى حد كبير هنا.

قال فواز بشير، وهو زعيم من قبيلة البقارة، التي تتركز في محافظة دير الزور في سوريا، إنه ضحك عندما طلب منه مسؤولون أمنيون سوريين في دمشق حشد رجال قبيلته ضد "داعش". وقال" رددت عليهم أنه على مدى عقود فعلوا كل شيء لتقويض السلطة لدينا وإضعافنا والآن يريدون منا أن نساعد؟ "، وأضاف بشير أن الطريقة الوحيدة التي يمكن السيطرة بها على شعبه هي أن تدفع لهم رواتب أو توفر النفط للتنافس مع القوى الكردية والداعشية.

قال الجربا إنه حاول إثناء شعبه عن المشاركة عندما اندلعت الاحتجاجات ضد الأسد، "فنحن لا نعرف إلى أين تتجه الأمور. " وقال كريم المفلح ابن الجربا والذي يبلغ 19 عاماً إنه و30 من أشقائه شاركوا في الاحتجاجات. وأضاف أنه ترك الدراسة في الصف التاسع للانضمام إلى ميليشيا معارضة للنظام شكلها ابن عم الجربا لتكون جزءاً من الجيش السوري الحر، وتضخمت الميليشيا لتصل إلى 10 آلاف مقاتل، معظمهم من قبيلة شمر والقبائل والعشائر ذات القرابة. وقال كريم إن الحاجة إلى الأموال لدفع الرواتب والنفقات العامة ازدادت، فاستولوا على مجموعة من آبار النفط وعلى التكرير والمبيعات. بعد وصول "داعش" إلى المنطقة اضطر كريم للتنسيق معها ثم أصبح واحداً منهم وهو الآن أسير لدى القوات الكردية.

النص الأصلي للمقال:

http://www.wsj.com/articles/control-of-syrian-oil-fuels-war-between-kurds-and-islamic-state-1416799982

سوريا: جحيم الصحفيين والجميع جناة

■ القامشلي - جوان تتر

بعد اندلاع الثورة في سوريا بات عمل الصحفي الراصد أكثر صعوبةً وقساوة، بسبب القيود التي تفرضها الجهات المتنازعة في كافة أرجاء سوريا. ومع اشتداد النزاعات برزت على الساحة السورية مسألة اختطاف مراسلي القنوات التلفزيونية والصحفيين، وقد صدر مؤخراً عن (إي بي سي) الإخبارية الأمريكية، تقرير مفاده أن سوريا أصبحت بمثابة الجحيم بالنسبة للصحفيين الذين يقومون بتغطية الأحداث الجارية، مستشهدةً بإحصاءات صادرة بخصوص هذا الموضوع في إشارة إلى احتجاز أكثر من ثلاثين صحفياً حتى الآن، ناهيك عن مقتل اثنين وخمسين مراسلاً منذ بداية الثورة في سوريا، وغالباً ما تكون أرقام الإحصاءات الحقيقية أكثر من أرقام الإحصاءات المعلنة، وذلك حرصاً على استمرار عملية التفاوض مع الخاطفين، وحمايةً لحياة المُختطفين.

تستمر الثورة السورية في ظل استمرار الأخطاء المميتةِ من قبل الجهات المتنازعة، وخاصةً فيما يتعلق بالاعتداء على الصحفيين والمراسلين، فقد تعرّض في الأشهر القليلة الماضية الكثير منهم إلى حالات خطف واعتقالات تعسفية دون أدنى احترام لمواثيق حقوق الإنسان أو احترام لطبيعة عمل المراسل، الذي يهدف من خلال عمله الخطر إلى توثيق الأحداث الجارية كمهمّة تفرضها أخلاقيّات المهنة.

لكن مع الفوضى الموجودة في سوريا تبقى مسألة رصد هذه الظاهرة المخيفة، فيها كمّ هائل من الصعوبات، ففي مدينة القامشلي التي تتواجد فيها عدّة قوّات وضعت على عاتقها حماية هذه المدينة والمدن الأخرى التابعة لمحافظة الحسكة، ظهرت حالات متعددة تعرّض خلالها العديد من مراسلي القنوات التلفزيونية والمراسلين العاملين في مجال الصحافة إلى الإختطاف من قبل جهاتٍ عدة، أحياناً تكون معروفة وأحياناً أخرى غير معروفة، إما تابعة لتيار عسكري معارض لتيار عسكري آخر يعمل على أراضي محافظة الحسكة، أو جهات غير معروفة تقوم باعتقال واختطاف المراسلين بغية الحصول على مبالغ مالية معينة في ظل الفوضى.

اختطف مؤخراً كل من المراسل فرهاد حمو والمصور مسعود عقيل، اللذان يعملان لدى فضائية روداو، من قبل تنظيم الدولة الإسلامية، على الطريق الدولي جنوب شرق مدينة القامشلي حين كانوا في مهمة صحافية، حسب ما أعلنته فضائية روداو، ولاتزال الجهات المعنية تبحث في الموضوع، دون أي معلومات تذكر.

يقول "ريبر" وهو عنصر من الأسايش (قوات الأمن الداخلي): "أصدرنا كجهة مهتمة بأمن المواطن، العديد من البيانات التي أفصحنا فيها عن رغبة قواتنا بحماية الصحفيين والمراسلين أثناء عملهم في رصد الأحداث، ودائماً ما نعمل على توفير الأمان والسلامة ليتمكن الإعلاميّون من إتمام عملهم على أكمل وجه، ولكن للأسف كل البيانات التي نصدرها بهذا الخصوص لا تلقى آذان صاغية لدى الجميع، ونتفاجأ في النهاية بأنباء قاسية عن اختطاف إعلاميين، وهذه الحالات تجعلنا نرتبك، خاصةً إن لم تكن لدينا معلومات مسبقة عن مكان توجّه المراسلين الذين يتم اختطافهم، لذا لكي نتمكن من الإحاطة بهذه المشكلة لا بدّ من تعاون بين عناصر الأمن والإعلاميين".

ويقول الصحفي عماد تالاتي، وهو مراسل لقناة أورينت التلفزيونية: "إن المسؤول عن اختطاف الإعلاميين هو الإرهاب، كل جهة تقوم بالخطف هي جهة إرهابيّة حتماً، وللأسف دائماً ما تكون الإجراءات اللازمة من قِبل القنوات لحماية مراسليها في عموم سوريا متأخّرة على الأغلب وغير مفيدة إذا جاز التعبير، وبرأيي الانتهاكات التي يتعرض لها الصحفيون في المناطق الكردية في سوريا أقل من باقي المناطق السورية الأخرى".

كما ويتحدث الصحفي فريد حمو مضيفاً: "إن حالات اختطاف المراسلين في مدينة القامشلي باتت تشكل خطراً على خط سير عمل الإعلام، وعلى العموم اختطاف المراسلين عمل جبان لا يمت بصلة للمواثيق والعهود الدولية، ويتوجب على الجهات الموكل إليها حماية المواطن أن تتصرف بشكل أسرع في سبيل تأمين الحماية اللازمةً للإعلاميين، على اعتبار أنّ عملهم لا يقل خطورةً عن العمل على جبهات القتال الأماميّة".

بات موضوع اختطاف الإعلاميين أمراً في غاية الخطورة، لما له من تأثيرات على مستوى العمل الإعلامي ونضجه، لأن هناك الكثير من العاملين في مجال الإعلام فقدوا حياتهم، أو تعرّضوا للإهانة جرّاء عملية الاختطاف، دون أي تدخل ملحوظ من قبل الجهات المعنية.

عُمان تحت المجهر
بين تقاسم الجغرافيا والمستقبل الغامض (1)

■ هاني سعد الدين

يبدو مجلس التعاون الخليجي الكيان الأقرب جغرافياً واقتصادياً للثورة السورية، وأي خلافٍ خليجي لابد وأن ينعكس سلباً على مسار الحدث في سوريا، وفي الاجتماع الأخير لدول المجلس أنهى قادة المملكة العربية السعودية وحلفائها حربهم الباردة مع قطر وأعلنوا عودة السفراء إلى الدوحة بعد أشهر من غياب هؤلاء السفراء احتجاجاً على دعم قطر لجماعة "الإخوان المسلمين" التي ينظرون إليها على أنها تهديد لحكمهم، وبالرغم من النار تحت الرماد في دول المجلس إلا أنها محكومةٌ بالاستقرار بقرار عالمي في الأمد المنظور.

وبين تقاسم النفوذ بين قطر والسعودية في المنطقة العربية لتجنب أي صراع مصالح مستقبلي بينهما تبدو الأحجية قد حُلت، إلا أن الصورة ينقصها قطعة واحدة لتكتمل، وتغدو أحياناً تلك القطعة أهم من بقية الصورة، والتي تُظهر عُمان، البلد الغامض والمحوري الغائب عن الدراسة والتحليل والحاضر بقوة في ملفات المنطقة المحورية، والذي يبقى الأكثر تأثيراً على استقرار مجلس التعاون الخليجي والإقليم بكامله.

مما لا شك فيه أن عُمان هي الدولة العربية الوحيدة في الخليج الشرقي التي حملت مقومات الدولة تاريخياً بالإضافة لأنها كانت مسرحاً لأطول ثورة عربية، ثورة ظفار التي استمرت عشرة أعوام، وانتهت بانقلاب السلطان قابوس بن سعيد عام 1970 على والده، والذي أعلن القضاء على الثورة نهائياً عام 1975.

منذ بداية حكمه، أوجد السلطان قابوس سياسة خارجية شديدة الخصوصية في المنطقة قوامها التحالف مع الجميع ضد الجميع فمن تحالفه مع شاه إيران إلى تحالفه مع نظام الخميني، ومن تحالفه مع النظام الأردني إلى إقامة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي ومن تجميده لعلاقاته العربية تقريباً، وتوطيده لعلاقاته مع اسرائيل من جانب آخر.

في عام 1979 حين قرر العرب قطع علاقاتهم مع مصر "السادات" انفردت السلطنة بإبقاء علاقاتها مع القاهرة وأقرت الاتفاقية، وفكت الاشتباك مع القضية الفلسطينية وطرد كل الفلسطينيين من البلاد، وشاركت ضمن قوات درع الجزيرة في

تحرير الكويت من العراقي عام 1991 ولكنها أبقت على علاقاتها مع بغداد بعد انتهاء تحرير الكويت، كما حافظت على علاقاتها الجيدة مع طهران، وهي الآن تستضيف المحادثات السرية بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية.

ومع اندلاع الثورة السورية وبالرغم وجود قرار خليجي بقطع العلاقات مع النظام السوري وسحب السفراء وطرد السفراء السوريين من العواصم الخليجية، إلا مصدراً من وزارة الخارجية العمانية قال إن بلاده لم تطرد السفير السوري من مسقط وان السفير العماني سحب من دمشق لأسباب أمنية وليس لأسباب سياسية، وترى مسقط أن مسؤولية ما يجري في سورية من قتل ودمار يقع على عاتق الجميع، النظام والقوى والدول التي تدخلت وتتدخل بالموضوع السوري.

لا تعكس التقارير الإيجابية التي تتناقلها الصحف الأجنبية عن عمان الواقع العماني بنزاهة، فالبلد ذو الموقع الاستراتيجي يعاني من مشكلات اقتصادية وسياسية تتفاقم باطراد، فوفقاً لأرقام شركة شل الهولندية التي تملك 34 ٪ من الشركة الوطنية لإنتاج النفط، يقدر الاحتياطي العماني من السلعة الحيوية بـ 4. 3 بليون برميل، وهو مخزون ضئيل نسبياً من النفط قياساً على بقية دول الخليج. وهذا يعني بوضوح أنه سيترتب على عمان أن تعيش بلا نفط بعد وقت قصير قياساً على جاراتها الأكثر حظاً، ووفقاً لمعدلات الانتاج الحالية فإن الاحتياطي سينضب في عام 2020 تقريباً ولا شك أنه سوف يظهر المزيد من النفط في عمان، كما حدث من قبل. ولكن يجب أن يظهر بكميات أكبر من قبل بكثير لكي يؤخر موعد نضوب الاحتياطي العماني.

يقابل العجز في انتاج النفط مشاريع حكومية لتطوير الاقتصاد غير النفطي في مجالات مثل الزراعة وصيد السمك والصناعة الخفيفة والمناجم وحتى السياحة. ومع ذلك فإن التقدم في هذه المجالات محدود للغاية، هذا بالإضافة لمشاكل البطالة الكبيرة المنتشرة في أوساط الشباب العماني، بحيث تحجم الحكومة عن نشر معدلاتها، ولم يعد قطاع النفط المتراجع والقطاع الضئيل غير النفطي قادر على امتصاص العدد المتزايد من العمانيين الشباب الذين يبحثون عن عمل. بالطبع توظف الحكومة عدداً كبيراً منهم في العديد من القطاعات بما فيها الجيش الذي تبلغ نفقاته 12٪ من الناتج الوطني الإجمالي.

وبالنظر إلى تزايد عدد السكان تزايداً سريعاً، وإلى كون احتياطي النفط فيها أقل بكثير مما كان يعتقد من قبل، وإلى أن الاقتصاد غير النفطي فيها محدود، يبدو أن السلطنة مقبلة على أزمة اقتصادية جدية في الخمس إلى العشر سنوات القادمة، أو حتى قبل ذلك مع الهبوط الحاد في أسعار النفط.

أما الحديث عن أي شكل من أشكال الإصلاح الاقتصادي فهو بلا شك مرتبط ارتباطاً عضوياً بعملية إصلاح سياسية تبدو بعيدة عن عمان اليوم، التي تعاني من تمركز السلطات الشديد في يد السلطان قابوس الذي جمع بين يديه القسم الأعظم من السلطات، على غرار ملوك أوروبا في القرون الوسطى مما جعل الأسرة الحاكمة مؤسسة ضعيفة، فضلاً عن غياب تام لأي مؤسسة أو حزب أو كيان سياسي في السلطنة.

قابوس بن سعيد ليس فقط السلطان بل أيضاً رئيس الوزراء ووزير المالية ووزير الخارجية ورئيس البنك المركزي. بينما يتقاسم أبناء عمومته مناصب ثانوية في البلاد كوزارة الثقافة والبيئة والمراسم، وقد نتج عن الشخصنة الشديدة للسلطة اعتماد النظام بكامله على السلطان وغياب أي كفاءة إدارية لدى الأمراء خلافاً لنظرائهم الخليجيين الذين تمرسوا في وظائف الدولة، على اعتبار أن الملكيات الأخرى في الخليج هي مشاريع عائلية.

حتى أن السلطان قابوس لم يسمي ولياً للعهد، مخافة الانقلاب عليه، فالأخير انقلب على والده عندما كان ولياً للعهد، بل وضع أسلوباً خاصاً لاختيار خليفته، حيث قال حرفياً "عندما أموت، تجتمع عائلتي، وإذا لم يتفقوا على مرشح، يقرر مجلس الدفاع ولي العهد بناء على اسم أو أسماء حددها السلطان السابق. وقد كتبت سلفاً اسمين بترتيب تنازلي ووضعتهما في ظرفين مختومين في منطقتين مختلفتين".

الدولة المدنية وتحدياتها بعد الحراك العربي (1)

■ فضيل التهامي

إن المتأمل في توالي الأحداث السياسية بعد اندلاع الانتفاضات العربية، خاصة في حالتي تونس ومصر، مع وجود خصوصية للحالة المغربية، سيلاحظ أن أبرز التحديات المطروحة على الدولة المدنية تبلورت في خضم مرحلتين: مرحلة وصول الإسلاميين إلى السلطة الذي نجم عنها ظهور مشروعين مجتمعين متناقضين، مشروع إسلامي هوياتي / مشروع علماني حداتي. ومرحلة ما بعد حكم الإسلاميين، والتي أفرزت بدورها تناقض بين مشروع العسكر ومصالحه الاستراتيجية، وتصور القوى المضادة لطبيعة الدولة وهويتها.

في أدبيات العلوم السياسية لا يوجد مصطلح اسمه "الدولة المدنية"، فقط هناك مفهوم الدولة "state"، التي تعني في الاصطلاح السياسي "مجموعة من الأفراد يقطنون بصفة دائمة إقليما معينا، ويتمتعون بالشخصية المعنوية، تحت نظام حكم ما له سيادة". أما مفهوم "مدنية" فهو يدل على نمط الحياة في المدينة، والتي تكون غالبا مرادفة للحضارة والعمران بالمعنى "الخلدوني"، أي ضد البداوة، والمناقضة تماما لمفاهيم: "الدينية، العسكرية، الطائفية..".

حسب المؤرخين تعود الجذور التاريخية لمفهوم الدولة المدنية إلى ما يعرف ب "صحيفة المدينة"، وهي وثيقة أعدها النبي محمد بعد قدومه إلى المدينة، والتي جاءت بمضامين: المساواة بين كل ساكني المدينة - الإقرار بالمسؤولية - تحقيق الأمن والاستقرار - ضمان حرية المعتقد لغير المسلمين.

وفي نفس سياق التقعيد النظري لهذا المفهوم (الدولة المدنية)، أنتج الفكر السياسي الغربي مجموعة من الأطروحات النظرية التي وضعت أسس هذه الدولة: بدءا من "مكيافيلي" التي نزع المطلق التيولوجي عن الممارسة السياسية، مرورا "ببودان وهوبز" اللذان بدورهما اخرجا منطق السلطة من قيود اللاهوت، ووصولا إلى أبرز منظري الدولة المدنية "جون لوك" الذي قال في "رسالة التسامح": "ينبغي التمييز بوضوح بين مهام الحكم المدني، وبين الدين، وتأسيس الحدود الفاصلة بينهما..".

فما هي الدولة المدنية؟ وما هي شروط تأسيسها؟ وما هي أبرز التحديات المطروحة عليها بعد الانتفاضات العربية؟

رغم وجود اختلاف في إعطاء تعريف محدد لمفهوم الدولة المدنية، هذا الاختلاف طبعاً يعود إلى تناقض التموقعات الايديولوجية والسياسية لمختلف القوى السياسية والمجتمعية، إلا انه من الناحية المبدئية هناك تعاريف أكاديمية تحاول نزع هذا الاختلاف مظهرة الحياد بين هذه الأطراف، نقترح من بينها التعريف التالي: "الدولة المدنية هي الدولة التي لا يحكمها لا رجال أو علماء دين، ولا رجال جيش، فهي المقابلة للحكومة الدينية التيوقراطية، وهي دولة المواطنة (كما حددها جان راولز)، وسيادة القانون. فلا يكون فيها التمييز بين المواطنين بسبب الدين، اللغة، او العرق، اللون، الاختلاف الاديولوجي او السياسي، فهي الضامنة لحقوق الإنسان والحريات، واحترام التعددية، وتكون فيها فصل للسلطات.. باختصار هي دولة الجميع.

ولفهم الدولة المدنية وشروط تأسيسها، والتحديات المطروحة عليها في سياق الانتفاضات العربية، ينبغي الرجوع إلى التطورات التي شهدتها الدولة العربية في مراحل - قبل وأثناء وبعد - الحملات الاستعمارية التي تعرضت لها هذه الأخيرة.

ففي المرحلة الأولى كان الطابع الديني للدولة حاضراً بقوة، رغم وجود بعض التقاطعات الايجابية بين الدولة الدينية والدولة المدنية، خصوصاً فيما يتعلق بحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية، وضمان هامش من الحريات كحرية المعتقد للنصارى واليهود.. رغم وجود تعارض في مفاهيم أخرى كالديمقراطية والعلمانية. فهذا النمط من الدول العربية أفرزته دوافع سوسيولوجية لطبيعة تكون المجتمعات العربية تاريخياً. وبعد دخول القوى الاستعمارية لم تغير من ملامح الدولة العربية شيئا، سوى أنها احتفظت وكرست "التقليدانية" وطوعتها كشرعية خدمت استراتيجيتها الاستعمارية، بل حاربت حتى التحديث والإصلاح الذي كان قد يفضي إلى التمهيد لوضع أسس الدولة المدنية. ففي هذه المرحلة كثر النقاش عن شكل الدولة العربية ومحاولات تقويضها، بل أكثر من ذلك تجاوز النقاش إلى ماهية هذه الدولة، خصوصاً بعد أن نجح "اتاتورك" بتأسيس أول نظام علماني من خلال الإصلاحات السياسية التي أقدم عليها سنة 1927. أما بعد موجة الاستقلالات، والمخاض التي عاشته هذه الدول من خلال الانقلابات العسكرية تم تبني أنظمة حكم مدنية، علمانية، لكنها

مخالفة تماما للإطار المفاهيمي والنظري الصحيح كما جاء به منظرو الدولة المدنية.

وبالرغم من كل هذه التطورات، لم يحسم النقاش حول طبيعة الدولة العربية، إلا بعد اندلاع الانتفاضات العربية الأخيرة، والتي أعادت إلى الساحة الأكاديمية والسياسية نقاش الدولة المدنية وتحدياتها، بل تطورت الأمور بعد المخاض الذي عرفه هذا الحراك، وانتقل هذا النقاش من نقاش يؤسس لطبيعة الدولة العربية وماهيتها ووظيفتها إلى الهوية التي ستقوم على أساسها، خاصة بعد ظهور مؤشرات أبانت عن فوز القوى الإسلامية في الانتخابات (تونس ومصر). لتتبدد المخاوف لدى القوى الأخرى (ليبراليين - اشتراكيين - أقباط) بعد الإعلان الرسمي لفوز حركات الإسلام السياسي، بشأن استئثارهم بالسلطة ومصادراتهم لمرتكزات الدولة المدنية خاصة في مجال الحريات.

إن المتأمل في توالي الأحداث السياسية خاصة في حالتي تونس ومصر، مع وجود خصوصية للحالة المغربية، سيلاحظ أن أبرز التحديات المطروحة على الدولة المدنية تبلورت في خضم مرحلتين: مرحلة وصول الإسلاميين إلى السلطة الذي نجم عنه ظهور مشروعين مجتمعين متناقضين، مشروع إسلامي هوياتي / مشروع علماني حداتي. ومرحلة ما بعد الإسلاميين، والتي أفرزت بدورها تناقض بين مشروع العسكر ومصالحه الإستراتيجية، وتصور القوى المضادة لطبيعة الدولة وهويتها.

فضيل التهامي / باحث في علم الاجتماع السياسي، جامعة محمد الخامس الرباط المغرب

www.facebook.com/fadil.touhami

fadil.touhami@gmail.com

مرعي باشا الملاح 1856 - 1930

■ ياسر مرزوق

ولد محمد مرعي بن الحاج صالح آغا الملّاح في حلب عام 1856، لواحدةٍ من أعرق الأسر الحلبية وأكثرها وجاهة والتي تنتمي لعشيرة البو خميس المتفرعة عن عشيرة الدليم، ويتصل نسبها بالصحابي الجليل عمرو بن معدي كرب الزبيدي، وقد استوطن أسلافه مملحة الجبول في أواسط القرن السابع عشر، فأقرهم العثمانيون فيها، وانتقل جده «علي أبو بكر آغا» أمين الجبول إلى حلب، حيث تولى قيادة الجيش عام 1775، ثم أصبح متسلم حلب عام 1776، وجمع بينهما حتى عام 1780.

تلقى الملاح علومه الأولية في كتاب المدينة، ثم تلقى علومه اللغوية والشرعية في المدرسة المنصورية، ثم الرشدية وأتم دراسته في المعهد السلطاني في الأستانة مشمولاً برعاية السلطان عبد العزيز الأول، حيث تخرج منه في عام 1876. وأتقن إلى جانب العربية التركية والفارسية والفرنسية والإيطالية والأرمنية وألم بالإنكليزية.

في تلك الفترة ورغم انحسار نفوذها السياسي، بلغت الدولة العثمانية أعلى مراحل التنظيم الإداري، ابتداءً بالتنظيمات التي صدرت عام 1839 مروراً بالتنظيمات الخيرية الصادرة عام 1856 إلى أن بلغت ذروتها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عام 1876، حيث استوعبت الدولة خيرة الإداريين من جميع الأقاليم الخاضعة لسلطتها.

في العام نفسه عين الملاح عضواً في لجنة الرقابة المحاسبية والإدارية لدى نظارة الخزينة الخاصة المكلفة بالإشراف على إدارة الأراضي السلطانية، ثم مفوضاً فوق العادة قائم بوظيفة رئيس دائرة الشرطة في ولاية حلب عام 1880، انتقل بعدها عضواً ملازماً في محكمة استئناف الحقوق بعد اجتيازه الفحص المسلكي عام 1882.

شارك الملاّح في تأسيس «جمعية الاتحاد العثماني»، التي كان هدفها التمسك بالدستور والدفاع عنه. وفي صيف عام 1909 استقال من النيابة لمعارضته تدخل الاتحاديين بشؤون الدولة على نحو مناف للدستور.

ولي إدارة أوقاف ولاية حلب في عام 1909، فبقي فيها مدة سنتين، ثم استقال بعدما سيطر الاتحاديون على نظارة الأوقاف. وفي غضون ذلك عين في عام 1911 عضواً في اللجنة التي عهد إليها بالتحقيق في الحفريات التي تم إجراؤها تحت قبة الصخرة في الحرم القدسي الشريف على يد بعثة أثرية بريطانية برئاسة الكابتن مونتاغو باركر، وما تردد عن قيامها بسرقة آثار تعود إلى عهد الملك سليمان، وقد أثبتت التحقيقات عدم وقوع السرقة لانتفاء وجود تلك الآثار أصلاً، عين بعدها عضواً في المجلس العمومي في حلب.

في 27 تشرين الأول من عام 1918 دخلت القوات العربية بقيادة الشريف ناصر حلب. كما دخلتها القوات البريطانية بقيادة الجنرال ماك أندرو. وأقر مرعي باشا الملاّح رئيساً للحكومة المحلية التي كانت قائمة بحلب.

بعد أيام قليلة ومع وصول الجنرال اللنبي إلى حلب قام الأخير بإنهاء تكليف الملاح برئاسة الحكومة المحلية، وعين الفريق كامل باشا القدسي حاكماً عسكرياً عاماً وبدأ الحكم الفيصلي فيها. وأما الملاح فقد عين عضواً في مجلس شورى الدولة بالعاصمة دمشق، إلا أن إقامته في العاصمة لم تطل بحيث سمي في كانون الأول من العام نفسه متصرفاً لدير الزور التي كانت تضم الفرات والجزيرة، والتي حررها الملاح نهائياً من الحكم العثماني، وألحقها بالحكومة العربية بدمشق، ونظم الإدارة فيها، وعين قائمي مقام في قضاء الميادين والبوكمال، وكان ينوي توسيع سيطرته لتشمل عانة في العراق.

ولما دخل الإنكليز دير الزور بعد شهر رفض تسليمهم إدارة المنطقة وإنزال العلم العربي. ولما تشبث بموقفه، حصل الإنكليز على وثيقة رسمية من الحاكم العسكري العربي بحلب تؤكد إقرار الحكومة العربية بخضوعها للحكم البريطاني. فما كان منه إلا أن استقال من منصبه احتجاجاً.

وفي شباط من عام 1919 اعتقلته السلطات البريطانية في مقدمة من اعتقلتهم من زعماء حلب بتهمة التحريض على الفتنة إلا أنه أطلق سراحهم بعد نحو شهر بمسعى من الأمير فيصل الذي كان ما يزال يرأس الوفد العربي إلى مؤتمر الصلح في باريس.

وفي العام نفسه انتخب رئيساً ثانياً للمؤتمر السوري العام بدمشق، واشترك في صياغة قرار الاستقلال، ومبايعة فيصل الأول ملكاً، ووضع أول دستور للبلاد.

في عهد الانتداب الفرنسي أسند إليه منصب مدير الداخلية العام «وزير» ووكالة الحاكمية العامة في دولة حلب في عام 1920، لكنه ما لبث أن استقال في العام التالي بسبب تعدي الفرنسيين على صلاحياته، وفي كانون الثاني من عام 1924 شغل منصب حاكم دولة حلب العام، وأخيراً، سمي في عام 1925 والياً على حلب بدرجة «وزير» على أثر إعلان «دولة سوريا» من اندماج دولتي دمشق وحلب.

في مطالع عام 1926 استقال الملاّح من ولاية حلب احتجاجاً على سقوط ثمانية قتلى وعدد من الجرحى بنيران قوات الانتداب في مظاهرات شعبية كان السبب المباشر لها مقاطعة الانتخابات التي دعا إليها المفوض السامي دي جوفنيل، والمطالبة بإطلاق سراح الزعماء الوطنيين الداعين للمقاطعة ومن بينهم نجله عبد القادر ناصح بك الملاح؛ فاعتزل العمل السياسي وانصرف للاهتمام بالأعمال الزراعية والعمرانية، حتى وفاته عام 1930.

كما قام بتأسيس مصلحة الغراس ونظم بستان مرعي باشا في العزيزية وحوله إلى حديقة عامة عرفت باسمه «حديقة مرعي باشا الملاح»، إضافةً لحديقة عامة أخرى «بجب القبة» أطلق عليها اسم الجنرال بيوت مندوب المفوض السامي آنذاك وما تزال قائمة إلى يومنا هذا مع إزالة الاسم الفرنسي.

كما قام بتدشين طريق باب النيرب، وطريق المسلمية، وطريق الميدان، وشارع الجنرال دو لاموت «العزيزية» وشارع باريس وشارع قويق بعدما تم تعبيدها جميعاً بمادة الإسفلت، وأعاد بناء جسر الناعورة، ودشن كلاً من المسلخ البلدي، ومستودع المواد المشتعلة، ودار العجزة، وشق طريق حلب - أنطاكية، وحلب - اللاذقية، وحلب - دمشق.

إضافةً لتشييد مشفى الرازي، والشروع في تمديد خطوط الترامواي والكهرباء، وتأسيس كلية حلب الأمريكية، إضافةً لإحداث الدائرة البيطرية، وبناء المدارس والمستوصفات ودور الحكومة والجسور في الكثير من المدن والأقضية والنواحي، وتحضير العشائر، وتشجيع زراعة القطن، وجر المياه إلى إدلب. كما نفذ مشاريع كثيرة أخرى يطول حصرها.

ومما امتاز به أيضاً حبه للعلم والأدب؛ فساهم في تأسيس الدراسات الإسلامية في حلب بإحيائه المدرسة الخسروية، وجمع مكتبة قيمة أوقفها في حياته على كل من المدرسة الخسروية ودار كتب الأوقاف الإسلامية بحلب، وكان من مؤازري المجمع العلمي العربي بدمشق في طور تأسيسه. وله الفضل في إقامة كل من جمعية العاديات ودار كتب الأوقاف الإسلامية.

نبلاء انتهازيون أنانيون هاربون وصامدون
فنانو سوريا التشكيليون "13"

■ حمزة السيد

المسوخ في الساحات

دخل مفهوم التعذيب والمجزرة والهزيمة بقوة إلى الأعمال النُصبية التي نفذت في العالم مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، كان أولها النُصب الذي نفذه الياباني Kenzo Tange في مدينة هيروشيما تخليداً لذكرى ضحايا القنبلة الذرية التي ألقتها الولايات المتحدة على بلاده، فصور مدى الكارثة التي عاشتها اليابان، موثقاً اللحظة بساعة متوقفة عند التاسعة وخمس دقائق اللحظة التي انفجرت فيها القنبلة، ورافعاً بوابات ضخمة اسمها باب السلام، للعلم فإن Tange ذاته، هو من صمم قصر الشعب بدمشق، وفي دمشق لا يوجد اليوم ما يمكن أن يطلق عليه عمل نُصبي، غير ذلك العمل الذي يعود لفنان فرنسي في ساحة الأمويين «السيف الأموي ـ جدد الزجاج الملون الذي يحتل سطحيه مصطفى علي عام ٢٠٠٨» ونُصب الجندي المجهول في قاسيون، ولا يجوز أن يطلق اسم نُصبي على أي شيء أخر في دمشق غيرهما، فللنُصب شروط عديدة أهمها أن يتجاوز في ارتفاعه العشرون متراً.

تُزين ساحة الأمويين في العاصمة بعدد من الأعمال النحتية التي أنجزت ما قبل سنوات الحرب، منحوتات لـ « وائل دهان - محمد بعجانو - لطفي الرمحين - أبي حاطوم» وزج بين هذه الأعمال منذ أكثر من عام تقريباً مسخ غريب، قال صانعوه إنه يخلد «الجندي المجهول»، هنا وبغض النظر عن مآلات الأعمال المماثلة والتي تحاول أن تخلد أفكاراً سلطوية -إذ عادة ما يكون مصيرها الهدم- فإن الكتلة القبيحة فتحت باباً كبيراً لـ «جرائم» مماثلة في مختلف أنحاء البلاد، ونشكر الله أنها مصنوعة من لدائن غير نبيلة ستقتلها يوما ما، ولن تكون خالدة في ذاكرة جماعية ينقصها أصلاً ثقافة الفن التشكيلي.

الباب الذي فتحه مسخ الأمويين، أنتج مسوخاً عدة، منها سلسلة «البسطار» في بلدة جبيول في جبلة مؤخراً، قبل ذلك في طرطوس، ثم اللاذقية، ليصل التشوه البصري مداه، بـ «شيء» دُعي نُصبياً وسمي «جنديين في وقفة عز»، الكتلة الشاذة وضعت في بلدة عين الشرقية، وكي نكون منصفين هي كتلة لا ترقى لمحاولة طفل بعمر الخامسة يجرب الصلصال للمرة الأولى، إذ حينها ستشفع له براءته أمام قبح صنعه، لكن ما أسمته الوكالة الرسمية سانا بالفنان، أظهر فقراً معرفياً يُنكره أي حجّار، إلا إذا كان الصانع هنا يسخر من فكرة العمل الأساسية بإنتاج قبح لم تعرفه عين، ليخدم فكرة العمل التي لخصتها سانا بالقول «جنديان أحدهما ملقى على الأرض والآخر يسانده معاهداً إياه على إكمال الطريق حتى الشهادة أو النصر».

عاجلاً أم آجلاً، ستهدم هذه «الأعمال» وتوارى الثرى إلى غير رجعة، فالعالم فقد الكثير من الأعمال الفنية الحقيقية التي أنتجت لمصالح لا تفيد الشعوب ولا تعنيهم، فالنصب يعكس ثقافة الشعوب، وهو فعل ثلاثي الزمن يربط بين الماضي في موضوعه والحاضر في إنجازه والمستقبل في رسالته، فكيف بك أمام كتل خرقاء، تلفظها حتى أمهات «الشهداء» الذين من المفترض أن تخلد «تضحياتهم» بهذه المسوخ القبيحة، وصحيح أن القبح كان يوماً - وربما لا يزال - عنواناً لمدرسة فنية كاملة، إلا أن هدف رواد تلك المدرسة هو البحث عن الجمال في القبح وليس القبح للاحتفاء بالقبح.

لا تعرف سوريا اليوم خبيراً حقيقياً في فن الأعمال النُصبية باستثناء أحمد الأحمد الذي يحمل شهادة الدكتوراه في هذا الاختصاص من جامعة روسية، وللمفارقة فإن الأحمد لم ينفذ أي عمل نُصبي في البلاد، فالرجل الحزين روحاً ووجهاً والمتأثر جدا بالمعلم الروسي الكبير «غوستاف زموا» بقي بين التدريس في كلية الفنون الجميلة بدمشق ومرسمه الخاص لسنوات بلا أي إضافة حقيقية يقدمها لنفسه أولاً، جلّ أعماله هي تكرار لكتلة تعيش صراعاً لا ينتهي بين خطوط عدة، قماش يعصرُ حجراً، أو حجر يلوّي آخر، كتلة رشيقة تحكمها الفيزياء، تكبر وتصغر بحسب الحاجة أو مكان العرض، جميلة لكنها باتت نمطية وتحولت مع الوقت لزنزانة الأحمد التي لا نرجو أن تكون أبدية، ينتمي الأحمد لرعيل درس في الاتحاد السوفيتي وعاد إلى جامعة دمشق لتنتهي السيرة الذاتية بذلك، يشبهه محمود شاهين وعبد الله السيد في الخط العالم للسيرة.

عبد الله السيد، بقي أكثر نشاطاً من نظرائه وأوسع في علاقاته، ونفذ سلسلة من أعمال النحت على الحجر اسماها «سفينة نوح» -نفذها في قلعة دمشق وذكر أنه باع واحداً منها في الولايات المتحدة- إلى أن فاز بتمثال صلاح الدين الأيوبي «أمام قلعة دمشق» كأول سوري ينفذ عملاً بهذا الحجم في البلاد لا يشخص «حافظ الأسد» عمل قالت المحاكم قولها فيه حين رفع فنانون قضايا أمامها احتجاجاً على عدم عدالة التحكيم في مسابقته الخاصة، حينها احتد الصراع بين السيد وأخرين، حتى نفذ العمل كاملاً من الحجر الصناعي، سنوات بعد ذلك ويرفع السيد دعوى قضائية ضد إياد بلال حين فاز الأخير بمسابقة صالح العلي في طرطوس، الحجة الرئيسية للسيد كانت أن العمل مسروق في كتلته العامة من عمل روسي، وبالذات تموضع الحصان الذي تمتطيه الشخصية، رد بلال أن تكوين الحصان لا يسمح بالكثير من الوضعيات، وأي تشابه بين حصانه وحصان روسي هو محض صدفة، وحكم القضاء لبلال.

كانت الضربة الأكبر التي تلقاها التشكيليون السوريون جميعاً، حين حرموا من المشاركة في تنفيذ أكبر مشروع نحتي في سوريا «بانوراما حرب تشرين في القابون» البناء الذي يضم لوحات جدارية ضخمة من النحت النافر، وتماثيل عدة أحدها لحافظ الأسد، حيث أوكل لشركة كورية تنفيذ كل شيء بسعر بخس وبسرعة قياسية، لم تكن السلطة تأبه لما يعنيه ذلك ثقافياً للبلاد، الحال ذاته كان قد تم مع أعمال أخرى بعضها في قصر الشعب بدمشق، فيما لا أحد يعلم من فناني البلاد من صمم صرح الجندي المجهول في جبل قاسيون.

احمد الاحمد - المدينة الجامعية بدمشق 2002

محمد عثمان محمود: العدالة الاجتماعية الدستورية في الفكر الليبرالي السياسي المعاصر

■ ياسر مرزوق

يقول الفقيه الدستوري الإيطالي «مورو كابللتي» إن القرن التاسع عشر كان قرن البرلمانات التي سيطرت على مؤسسات الدولة باسم الإرادة الشعبية، أما القرن العشرين فهو قرن العدالة الدستورية، وللتدليل على ذلك نرى أن كتب القانون الدستوري كانت لغاية نصف قرن مضى تتناول الرقابة على دستورية القوانين بشكل مختصر يقتصر على عرض المبادئ العامة وأشكال وأنواع الرقابة الدستورية، أما اليوم فإن العدالة الدستورية والحقوق والحريات الأساسية اللصيقة الصلة بها أصبحت تحتل الحيز الأكبر من مؤلفات القانون الدستوري.

وقد نشأت العدالة الدستورية بدايةً لمنع الاستبداد في أوروبا من خلال المحافظة على التوازن بين السلطات الدستورية ومنع أي منها، وبصورة خاصة السلطة التشريعية، من تجاوز صلاحياتها مما قد يؤدي إلى انحراف النظام الديمقراطي لأن الديمقراطية أولاً هي حكم الشعب لنفسه، ولكنها تعني أيضاً ما عناه الفقيه الفرنسي «مونتسكيو» من أنها لا يمكن أن تتحقق إلا إذا تمت المحافظة على التوازن بين السلطات.

وبهذا الصدد يقول «سايس» أحد أبرز قادة الثورة الفرنسية متأثراً بنظرية مونتسكيو: «تعتبر السلطات اللامحدودة وحشاً في السياسة، حتى الشعب نفسه لا يملك السلطة المطلقة التي يحاول بعض المخادعين إقناعه بها، فالقوانين أياً كانت تفترض إمكانية مخالفتها، ولذلك توجد حالة حقيقية لفرض احترامها».

لكن البدايات المبشرة لعصور الديمقراطية والأنسنة في أوروبا والغرب جنحت عن أهدافها بسبب سيطرة العقل الوضعي على الفكر الغربي بشكل عام، أي ذلك العقل الذي لا يهتم إلا بالوسائل والممكن تقنياً وتخلى عن كل التساؤلات عن الأهداف والقيم ومعنى الإنسان والمجتمع واكتشافاته.

وما يسمى اليوم بالدولة الإله هي التعبير عن هذا العقل العلمي الذي تجسده صورة موظف الدولة والتي تسمح له بإدارة المجتمع بدقة وفعالية، هذا العقل يعيش اليوم أزمة في الغرب ناتجة عن الصعوبات الاقتصادية التي ساهمت في إضعاف عصمة الدولة الإله، ولأن عبادة العقل أوصلت إلى أنظمة تفتقر إلى البعد الإنساني، وهذا المصير المأساوي للعقل لا يدين العقل كأساس للحداثة الديمقراطية، ولكنه يدين الإنسان الذي اعتقد أن العقل يكفي وحده كأساس للدولة والمجتمع.

فالعمل الذي تقوم به الفلسفة السياسية والقانونية اليوم هو إعادة التعريف لفكرة العقل الذي يبرز محدودية الإنسان، العقل الأخلاقي الذي يؤمن بالقيم الثلاث الأخلاق والدين والجمال، والتي هي قيم دائمة وثابتة، وإن اختلفت معانيها باختلاف الأزمنة والمجتمعات.

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

والفكر الغربي المعاصر لم يعرف طرحاً ليبرالياً سياسياً مؤسساً على فلسفة أخلاقية عن العدالة الاجتماعية بأهمية ما قدّمه المفكر الاميركي وأستاذ الفلسفة في هارفرد جون رولز في كتابه «نظرية في العدالة» ثم كتاب «الليبرالية السياسية»، فكتاب «قانون الشعب» وأخيراً «العدالة انصافاً: إعادة صياغة»، وهو ما سلط عليه الباحث الفلسطيني محمد عثمان محمود الضوء، قارئاً للمساهمة الفكرية المهمة للفيلسوف الأمريكي جون رولز ورؤيته حول المبادئ الدستورية التي تراعي العدالة وفي تأسيس السياسة على الأخلاق خلافاً للبراغماتية على سبيل المثال، ويبحث، بشكل معمق، في العلاقة بين الحرية والمساواة التي اعتبرها أمراً أخلاقياً واجباً، وأمراً دستورياً تعاقدياً.

جون رولز الذي استطاع أن يرسم تخومًا واضحة بين الليبرالية بوصفها فلسفة سياسية تقوم على العدالة والإنصاف، وبين الليبرالية بوصفها فلسفة شاملة، والذي عالج مشكلة العدالة الاجتماعية بوصفها جزءاً من سياق المشكلات المعاصرة لليبرالية النفعية عموماً، والسياسية التعاقدية خصوصاً، نجح في احياء الاشتغال الفلسفي داخل الحقل السياسي، فأعاد الاعتبار إلى الفلسفة السياسية بصورة مؤسسة على الأخلاق، فنظريته سياسية أولاً، ومبنية على أسس ومبادئ أخلاقية ثانياً.

ومع صعود الخطاب المتنصل من أعباء العدالة الاجتماعية، والدعوة إلى حلول السوق محل المجتمع، وفي ظل غياب التنوع والحضور الفلسفي عموماً والأخلاقي خصوصاً، لمصلحة غلبة شبه مطلقة للتوجه النفعي بصيغتيه الخاصة التي تبنتها الليبرالية الجديدة والعامة التي تبنتها الليبرالية الرعائية، يعود رولز إلى إحياء فلسفة العقد الاجتماعي السياسي وإعادة صوغها بصورة توفيقية غير مسبوقة قائمة على مفاهيم فلسفة الواجب، خصوصاً أولوية العدل إزاء ما تأسست عليه النفعية متمثلاً في أولوية النفع.

كما أحيا نظرية العقد الاجتماعي الراسخة في الفكر الغربي إلا أنه أعاد صياغتها على أساس فلسفة الواجب التي صاغها «كانت» والتي تعطي أولويةً للعدل على المنفعة بخلاف النفعية، ورولز لا ينظر للحقوق العامة باعتبارها حدوداً لصلاحيات الدولة أي الحد من نشاط الدولة وتدخلها في شؤون الانسان والمجتمع، بل هي وبشكل أساسي حقوق الجيل الثاني والثالث، أي الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والحقوق البيئية التي تؤمن إنسانية الانسان «الحق بالسكن اللائق، الحق بالعناية الصحية، الحق ببيئة نظيفة»، والتي تستوجب تدخل الدولة فهي الملزمة بتأمينها لعموم المواطنين.

منذ كتابات مؤسسي العدالة الدستورية في أوروبا «هانس كلسن وشارل آيسمان» فتحت وما تزال لغاية اليوم مفاهيم جديدة في النظرية والفلسفة القانونية والسياسية وفي الدستور والقانون والحريات والحقوق العامة، أعاد رولز صياغتها لاستشعاره المبكر بمكامن الظلم الممكنة في السياق الليبرالي وقراءة مؤشراته في مرحلة مبكرة، ولإدراكه أن نتائج النهج النفعي لا تتفق والقيم التي تقوم عليها فلسفة العقد الاجتماعي، ولاسيما المساواة التي لا معنى للحرية بلا قدر معقول منها.

في الختام تتجلى قيمة دراسة أعمال جون رولز وغيره ممن كتب في العدالة الدستورية، في سد النقص الحاصل في مكتبتنا العربية والتي تفتقر إلى دراساتٍ في العدالة الدستورية، التي تشكل أحد أهم وسائل الارتقاء الديمقراطي في عالم عربي يبحث عن ذاته ومستقبله، ويعيش حراكاً وتحولات لا توحي بالكثير من الآمال، في مستقبل ديمقراطي يشكل وحده خشبة الخلاص من مستنقع كل أزماتنا السلطوية والاجتماعية والدينية والثقافية، فنحن نحتاج إلى التشبع بالفكر الديمقراطي أكثر من حاجتنا لمؤسسات ديمقراطية، وما أدل على ذلك سوى معرفة أنه من أصل أربع دول عربية عرفت ثورات ومظاهرات ثلاثٌ منها توجد فيها محاكم أو مجالس دستورية، أي المؤسسات المنوط بها إرساء مبادىء العدالة الدستورية وهي «مصر، تونس، سوريا» في حين أن أعرق ديمقراطية في العالم، أعني بريطانيا، مازالت ترفض اعتماد الرقابة على دستورية القوانين.

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

المواطنة والزواج المدني

■إعداد المحامي فارس حسّان

لما كانت الحرية والمساواة ركناً من أركان المواطنة التي توسعنا في شرحها سابقاً، والتي تشكّل بدورها الركن الأساسي من أركان الدولة المدنية التي لا تعرف الفرد بمهنته أو بدينه أو بإقليمه أو بماله أو بسلطته، وإنما تعرفه تعريفاً قانونياً اجتماعياً بأنه مواطن، أي أنه عضو في المجتمع له حقوق وعليه واجبات. وهو يتساوى فيها مع جميع المواطنين.

كما أن أهم مبادئ الدولة المدنية أنها لا تتأسس بخلط الدين بالسياسة. بالرغم من أنها لا تعادي الدين أو ترفضه فهو يظل في الدولة المدنية عاملاً في بناء الأخلاق وخلق الطاقة للعمل والإنجاز والتقدم. حيث أن ما ترفضه الدولة المدنية هو استخدام الدين لتحقيق أهداف سياسية، فذلك يتنافى مع مبدأ التعدد الذي تقوم عليه، كما أن هذا الأمر قد يعتبر من أهم العوامل التي تحول الدين إلى موضوع خلافي وجدلي، وتدخله في تفسيرات تبعده عن عالم القداسة وتدخل به إلى عالم المصالح الدنيوية الضيقة.

الدولة المدنية هي التي تحافظ وتحمي كل أعضاء المجتمع بغض النظر عن القومية والدين والفكر. وهناك عدة مبادئ ينبغي توافرها في الدولة المدنية والتي إن نقص أحدها فلا تتحقق شروط تلك الدولة أهمها أن تقوم تلك الدولة على السلام والتسامح وقبول الآخر والمساواة في الحقوق والواجبات، والثقة في عمليات التعاقد والتبادل المختلفة، حيث أن هذه القيم هي التي تشكل ما يطلق عليه الثقافة المدنية، وهي ثقافة تتأسس على مبدأ الاتفاق ووجود حد أدنى من القواعد يتم اعتبارها خطوطاً حمراء لا ينبغي تجاوزها لضمان حقوق جميع المواطنين.

ومبادئ الحرية والمساواة عماد ما سبق، يجب أن تتجلى خصوصاً في قانون الأحوال الشخصية الذي يرافق المواطن منذ الولادة حتى الممات، ونشدد هنا على القانون لأنه وبحسب الفقه الفرنسي، «الزواج هو عمل قانوني ذو طابع رسمي يقيم بموجبه رجل وامرأة اتحاداً تنظمه بصورة إلزامية القوانين سواء فيما يتعلق بشروط عقده أو بأصول انحلاله أو النتائج التي تترتب عليه». وتبعا لذلك، «لا عقد زواج.. إلا بالاستناد إلى قانون صادر عن سلطة مخولة التشريع في هذا المجال تابعة لدولة معينة والا خضع اتحاد المرأة والرجل إلى قواعد المساكنة».

إلا أن وجوب تقنين الزواج المدني بقانون لا يسمح للسلطة أو النظام أياً كان بمنعه، على اعتبار أن الحقوق الأساسية هي حقوق ملازمة للفرد، وليست ممنوحة من نظام يقرر مدى ملاءمة منحها.

وبينما تجمع أغلب الدساتير في العالم على حرية المعتقد وحرية التعاقد، تمنع كل الدول العربية الزواج المدني بحجة مخالفته للنظام العام، والنظام العام هنا ليس نظاماً حامياً للحقوق الأساسية بل هو نظام حام لحقوق النظام بضبط الحريات والحقوق، مهما كانت أساسية، وبمنعها اذا أراد وفق ما يراه ملائماً. بكلمة أخرى، إنه بمثابة إخضاع منظومة حقوق الانسان لإرادة الحاكم ومستلزماته، فيصبح مفهوم النظام العام مرادفا تماماً لهذه الارادة.

كما أن تمسك الدول العربية بالمرجعية الدينية فيما خص أمور الزواج والأحوال الشخصية، هو تكريسٌ لأحد أشكال الدولة الدينية النقيض التاريخي لمبدأ المواطنة بما تحمله من إضعاف لهوية الانتماء على قاعدة المواطنة لا الطائفة والمذهب، وفيه ضرب لكافة الجهود التي تبذل في سبيل تطوير النظام العربي نحو قيام الدولة المدنية العصرية التي لا تتناقض مع الأديان بأي شكل من الأشكال.

لذا واستناداً لمبادئ المواطنة يتوجب السعي لاستصدار تشريعات تقنن الزواج المدني بوصفه عقداً اختيارياً لقطع الطريق على عبارة مخالفة النظام العام والتي تعلل عادة بغياب تشريع لمثل هذا العقد، خاصةً أن القضاء المدني في دول عربية كلبنان مثلاً يصادق على عقد الزواج المدني المنظم في أوروبا.

الزواج المدني عقد زواج بين شريكين موثق بشاهدين في مقر رسمي «المحكمة»، ويقوم هذا العقد على الحب المتبادل والرغبة في تأسيس أسرة ويتم تسجيله في سجلات الدولة وهو خاضع بشكل كامل للقواعد القانونية التي حددها المشترع، والتي لا يجوز للأفراد مخالفتها. ويضمن هذا العقد حقوق كلا الزوجين بالمساواة في حالة الطلاق.

يُسقط الزواج المدني كلّ الفوارق الدينيّة والمذهبيّة بين رجل وامرأة يريدان الارتباط ببعضهما والعيش سويةً تحت سقفٍ واحدٍ، وبناءً عليه فلا مانع من زواج الكاثوليكي بالأرثوذكسية وكذلك العكس، ولا مانع من زواج المسلمة بالمسيحي وقد يجمع هذا الزواج شريكين من الطائفة نفسها إن هما كانا يؤمنان بالعلمنة.

كما يوفّر الكلفة الباهظة للطلاق في حال الزواج الديني التي قد تصل إلى آلاف الدولارات لدى بعض الطوائف، ما دفع بالبعض إلى اقتراح الأخذ بالزواج المدني بهدف إيجاد الحلول القانونية لتلك المشاكل.

ويترتب على مدنية الزواج أن القانون لا يعترف بهذا الزواج إلا إذا أبرم أمام الموظف المختص، فإذا أبرم الزواج بين الزوج والولي بحضور الشهود، واستكمل جميع أركانه وشروطه، لا يُعترف به قانوناً لأنه لم يُبرم أمام الموظف المختص كما أنه في حال الخلاف بين المتزوجين مدنيّاً فإنّهم يخضعون للمحكمة المدنيّة التي تطبّق قانون الدولة التي عُقِد الزواج على أراضيها.

وقد أقرت معظم الدول الأجنبية وبعض الدول الإسلامية الزواج المدني، إما بشكل إلزامي وإما بشكل اختياري. فهو يعتبر إلزامياً في كل من فرنسا وألمانيا وسويسرا وبلجيكا والسويد وايطاليا ورومانيا والنروج وموناكو واللوكسمبورغ والبرازيل وأميركا اللاتينية وروسيا. بينما يعتبر اختيارياً في انكلترا والولايات المتحدة الأميركية واليونان وإسبانيا.

ولإتمام الزواج المدنيّ ينبغي أن تتوفّر شروط ثلاثة هي:

1 - وحدانية الشريك: بمعنى أنه لا يجوز تعدد الأزواج والزوجات إطلاقاً.

2 - مهلة الأسبوعين: يعني أن يتمّ الإبلاغ عن نيّة الزواج قبل 15 يوم من تنفيذ هذا الزواج.

3 - في حال نشوء خلافات أو نزاعات بين أيّ زوجين يخضعان لعقد زواج مدنيّ، فإنه ينبغي أن تمرّ 3 سنوات قبل طرح المشكلة على أيّ مرجع قضائي، ويُسمح لهما بذلك فقط لسبب واحد وهو الخيانة الزوجية، أي لا تُقبل أية شكوى إلا في حال كانت الخيانة الزوجية هي المسألة الخلافية بينهما، وذلك بعد مرور السنوات الثلاث.

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1991 - 1994

1992 / 2 / 11

الأبواب قد فُتحت علينا في الساعة الثامنة، رأينا الشمس تشع من الشبابيك، السماء كانت صافية، والثلج الأبيض متكدس على مد النظر. انحسرت الرياح وهذا إيذان برحيل العاصفة.. نشفان الريق يلاحقني.

في ساعات الفجر ثقل نومي، ورأيت نفسي كأنني أبحث عن قصي وأمه تقول: اذهب إلى شارع الجيش، ابحث عنه. ذهبت وبدا الشارع كأنه شارع العدوي يوم كان غير سالك، والآليات تعمل ليل نهار، رحت وجئت إلى نهايته. أتلفت هنا وهناك، وإذ أراه يحمل كيساً، ويلبس جزمة، وعمره بين 14 و15 عاماً. ناديت عليه فأجاب واقترب دون أن يبدو على محياه أنه ضائع، وأنا أبحث عنه وابتسم، ثم مشيت وإياه متجهين إلى البيت.. واستيقظت.

علمنا أن المدارس عطلت في أنحاء سورية 10 – 11 – 12 من الشهر الحالي. وعلمنا كذلك أن الدوائر الحكومية مغلقة والمطار والطرقات الدولية. لقد خيم المنخفض على البادية وتدمر، وعلى هضبة البلعاس والرصافة، وامتد إلى المحافظات الشرقية: دير الزور – الحسكة – الرقة. واليوم رحل إلى شرقي العراق وشماله.

ملحمة حمروش عن الضباط الأحرار ذكرتني بملحمة صلاح عيسى عن الثورة العرابية، وقد وقفت كثيراً عند تسجيلات: محمد نجيب، ومحمد صدّيق. الصدامات على أشدها في الجزائر بين نظام عسكري وأصولية لا ندري إلى أين تمضي.

1992 / 2 / 12

بداية النهار فيها تحسن .. درجات الحرارة منخفضة ولكنها ليست بقوة الأيام السابقة.. منذ ليلتين كانت الحرارة ليلاً 6 درجات تحت الصفر الليلة الماضية كانت درجات الحرارة 4 تحت الصفر، ونهار اليوم حول الصفر. الأمور تتجه نحو الأفضل.

تصفحت جريدة «تشرين» الاثنين الماضي، واليوم هو الأربعاء قرأت فيها عدة تحقيقات عن الأمطار، وانقطاع الطرقات استنفار الآليات، ونزول مروحيات الجيش لنجدة القرى المقطوعة، والتي تحتاج الخبز، والواقعة في محيط محافظة ريف دمشق، وقرى القنيطرة، وجبل العرب، ولمحة عن المحافظات الأخرى، ويتبين أن المحافظات مستنفرة من أجل مساعدة المناطق المقطوعة.

علمت أن قيادة حزب العمل في الخارج السرية والملاحقة، طالت الاعتقالات بعض هذه قادتها، وقد أشارت بعض إذاعات الخارج أن الأمن السوري داهم قوى معارضة، وحدد أن عدد المعتقلين بلغ 35 معتقلاً، وقد بدأت بلجنة حقوق الإنسان السرية، ويبدو أن هذه اللجنة على علاقة ببعض قيادات الحزب، وبالتجمع الوطني الديمقراطي.

جلست مساءً وقبل إغلاق الأبواب مع جلال مسعود وظافر المعمار وتحدثنا عن إجراءات التوزيع والتفريق لتجمع العمل ولماذا الربط بين الداخل والخارج؟

سألت الطبيب عن شرب الماء البارد بلهفة، وعن أسباب التبول الكثيف، قال: - السبب القلق النفسي وعدم الاستقرار، وقال: على كل أنت بحاجة إلى تحليل وبأقرب فرصة سأسجل اسمك للذهاب إلى مستشفى التل.

1992 / 2 / 13

لا شك أن الليلة باردة لكنها أدنى من الليالي السابقة، ونأمل أن تصل درجات الحرارة إلى الصفر. نقلوا إلى جناحنا ثلاثة من الفلسطينيين أحدهم كان في تدمر وهو برتبة رائد من فتح.

الهم الأساسي هو أن ترتفع درجات الحرارة، ويغادرنا هذا البرد الشديد الوجوه ما زالت منقبضة، وهناك دوائر حول العيون، وشحوب بادٍ على الوجوه، واحمرار في رأس الأنف. أطللت من أحد شبابيك الممر فرأيت غيوماً بيضاء، وفسحاً من السماء خفيفة وضباباً على سفوح التلال البعيدة، كأن اتجاه الرياح قد تحول إلى الغرب بعد أن كان من الشرق. لكن الثلج يبدو على مد النظر يغطي الأنحاء والجبال البعيدة، وهو راقد ومتمكن ويحتضن الأرض، ولكن إخلاء السبيل لم يغب عن بالنا.

1992 / 2 / 14

شيء مفرح أن تلمس الماء ولا تشعر بالقشعريرة، وأن لا يلسعك الهواء الذي يهب، ولا يحرق عقد الأصابع، أو رأس أنفك أو أصابع رجليك. شيء مفرح أن تعود إليك حركتك.. درجات الحرارة في ارتفاع. المنظر من الشبابيك كان رائعاً. الشمس والضباب والثلج مجتمعون معاً. قال أبو صلاح: هذا الضباب سيساهم في تذويب الثلج، وهو يذوّبه ويجعله يستقر في الأرض، أما المطر فيذوّبه ولكنه لا يستقر في الأرض. وعقب أبو صلاح على ذهاب البرد: - الحر أحسن من البرد. فالحر لا يؤسس أمراضاً، أما البرد فهو سبب لكل علة.

طبخت اليوم بامياء مقددة.

عاد الحديث حول الديمقراطية، وحول أحداث الجزائر، وحول اكتشاف شبكة تجسس لصالح الموساد في القاهرة، وحول مضامين كتب أحمد حمروش، وحول الوزير: ديما وزيارته لسورية، وحول ما يجري في الاتحاد السوفيتي. إذن الدفء طال الألسن!

1992 / 2 / 15

استيقظت مع فتح الأبواب، الساعة السابعة. الشمس تحتضن الشبابيك وأصوات الدوري. لقد تحول الطقس بعد العناء الذي تحملناه. إن الربيع قادم لا محالة وإن توافق مع إخلاء السبيل يكون الأمر زيتاً على زيتون.. وأقبل الجميع على الحمام وكانوا قد امتنعوا عنه لمدة نصف شهر.. وبدأ التسجيل على الفواتير: فاتورة دخان، فاتورة خضار، ومطالب عامة، وفاتورة دواء، وفاتورة بيض. تغدى عندنا في المهجع المدعو: يحيى محمد الخطيب وهو ضابط في فتح.

وقع مريضاً أحمد النابلسي، وقد طلبوا ليلاً الإسعاف بسبب تشنّج في بوابة معدته. معتقل منذ عام 1981، وقد خرجت دفعته وبقي وحده منها. أصابع محمد الجندي تشققت وهو يعالجها بالميكروم، ويغطيها بكف صوفي، ولا يستطيع ملامسة الماء.

أجل الحرب ها هنا، ولكنها لن تستطيع أن تمنع عنا أوقات اللعب والمرح.
ريف حلب - اعزاز 2014 | تصوير: باسل حسو

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي

للمراسلات والتواصل مع هيئة التحرير souriatna@gmail.com

رسائلُ قذرة إلى أبي، عن المطحنة والبشمركة

■ بهزاد حمو

عمل للفنان السوري عمر حمدي (مالفا)

جرعةٌ من الأمكنة يا أبي، جرعةٌ واحدةٌ تكفيني

(1) نكبة.

أنا المتشظّي كحبّة قمح في «طرطركا عَفدو». كانت أمّي تلفظها دون أن تضحك.. وكنّا صُغاراً بما فيه الكفاية، كي نُخبِّئ في ملامحنا أضرحة مقدّسة، بالتٍ كلاب الحيِّ على شواهدها لأعوام. لا نغمزُ أو نلمزُ بعضنا، حين تلفظ أمي كلمة «طرطرك» إلا أننا نعتصرُ في أعماقنا جيلاً من الحُفاة العراة المحترمين، الذين لا يعرفون أسماء أعضائهم التناسليّة، حتى يَكبَرون، وإن لفظوها يوماً، تلعثموا وشارفوا على البكاء.. ياااا لجيش التّعساء المحترمينَ في دمائنا يا أبي!

(طرطركا عفدو)، مجرشة (مطحنة) آلية موضوعة على لوح صفيح خلفَ جرّار «فرات» الضّئيل. لصاحبها المدعو «عفدو». وعفدو، هو رجمٌ بغيب الألقاب في عامودا.

(عفدو).. هو تجربةُ الكردي مع دين ماتَ الإلهُ فيه، كأيِّ أب يموتُ في عامودا. نتيجة الإكثار من التدخين، وأكل الدهون بكميات كبيرة، والنوم لساعات العصر مثل كلب ظمآن، والإكثار من الحديث عن المطر.. ماتَ إلهُ عامودا، ولا يزالون في بيوته يقيمون بصمتٍ طقوسَ العزاء، ويسمّونها، لأنّهم متخمون بالتاريخ والذاكرة، صلاة. لكل تفصيل في عامودا (شخصاً كان، أو شارعاً، أو مهنة، وحتى المطحنة) اسمين أو ثلاثة.. للمطحنة اسمٌ يليقُ بصخبها (طرطرك)، قرقعةٌ بليدةٌ ومستمرّة، كأنّها أفقٌ للميكانيك في أكثرِ أطواره سذاجة. ومن هنا، أعتقدُ جازماً، بأن العاموديون اتّفقوا على تسمية الطاحونة بـ «طرطرك»، استناداً للصوت الذي كانتْ تُصدره، حين تبدأ مسنّاتها بطحن الحبوب.. طرر طرر طرطرطر... وألحقتْ الكافُ بالصّوت، لإنتاج الاسم والمعنى.

ولصاحبها، اسم يليقُ بعبثيّة عاموداً، (عفدو).

قد يكون اسمهُ عبد الله، عبد القادر وحتى عبد المطّلب.. لم يكن يستفزّني الإسم الثاني، بقدر ما كانَ صخب طاحونته يشعرني بالقلق. كانتْ النسوة تجلسنَ على الحجارة الكبيرة الموزّعة على زوايا الشارع، بحكمة رجالات الحي. ليس ثمّة أحاديث مجدية في هذه الاجتماعات المنعقدة على فخاخ الحيِّ الفقير وأنغام «طرطركا عفدو». لوهلة يتصبّب الزّبدُ من أفواه النسوة، وهنَ يلكنَ حكايا الأخريات الغائبات. وأمي المنهمكة بترطيب القمح قُبيل سكبه في فوهة المطحنة، أبرزُ الغائبات.. لم تكنْ تلكَ النسوة تستلطفنَ أمي، ولا هي بدورها، كانتْ قادرة على حبّهن. لماذا كنتم تحاولونَ إقناعَنا حينها، بأن أهالي الحي يحبّون بعضهم كأسرة واحدة يا أبي؟

لم أكن حينها أدركُ بأنَّ جيراننا يكرهوننا أضعافَ ما كنّا نكرههم، لكنني كنتُ أعرفُ تماماً، بأنَّ أفرادَ الأسرة الواحدة، بحدّ ذاتها، لم يكونوا يُحبُّون بعضهم يا أبي.. وحقٌ تيهي عن قبركَ، الذي زرتُه مرّة واحدة ومصادفة، كنتُ أعلمُ هذا. لكنّني لم أخبرك بذلكَ يا أبي.. وخذْ أليمٌ أن ترى أطفالكَ يحقدون على بعضهم. أليسَ ثمّة أبٌ لهذا البلد أيضاً يا أبي، ليخشاه الأطفال ويخفوا عنهُ سكاكينَهم، والحناجرَ التي قطفوها؟ أوليسَ ثمّة أمٌ تصنعُ من السنابل الخضراء المحترقة فريكاً طازجاً؟ كما كانت تفعل أمي، وهي تدلقُ تعبكَ المحروق في صحن وتبتسم، كنا نلتهمُ خيباتكَ وأنتَ تضحك يا أبي! أوليس ثمّة شجاعٌ يُقرُّ بالهزيمة؟ قبلَ أن يلتهم الضريحُ بلادنا مثل حبّة قمح خضراء محترقة.

(2) خيبة.

كانت الشمس تقاربُ المغيبَ، وكانت جَلبةُ المطحنة، تسحقُ زعيقنا في السّاحة الملاصقة لمدرسة الحي.

على حائط المدرسة من جهة السّاحة، رسمةٌ للملّا مصطفى البرزاني. تحاكي صورةً معروفةً له، تظهرُ فيها قسوة ملامح الملّا، وجزءٌ من خنجر ضخم يتمنطقه.. كان جدّي لأمّي، وبعد أن نال منه الزهايمر، يُعلّق سكّينة مطبخ على حائط غرفته الباردة، ويقول لي بهمس بينما أمّي تغسلُ ثيابه في دلو: هذا الخنجر أهداني إيّاه الملّا إبّان اتفاقية الجزائر بين شاه إيران والعراق، لوأد الثورة الكرديّة».

كانت صورة الملّا تلك على حائط «ملعبنا» هي الورطة الكُبرى، حيثُ كانَ جارنا مسعود، الفتى الذي أسماهُ والدهُ المتعصّب للبرزاني، بهذا الإسم كنايةً عن ابن الأخير «مسعود البرزاني»، كان يُبعدُ الحجرتَيْن اللتين نضعهُما أمامَ هذا الجزء من الحائط، لتحديد مرمى كرة القدم. حتى لا يضطرَ مسعود، أو نُضطر إلى ضرب الكرة باتجاه رسمة البرزاني، حين نريدُ تسجيل هدف.

«معاذَ اللّه! كيف نركلُ الملّا بالكرة؟». هكذا كانَ يُقنعنا مسعود.

كان الفريقُ الخصمُ للمرمى الذي تحرسهُ من الخلف هيبة الملّا، يواجهُ تراث شعب بأكلمه، منظومة رمزيّة متماسكة عنيفة لحدّ التكفير.. حتى عندما كُنّا نُزيح المرمى بعيداً عن الرسمة بأمتار، كان الملّا لا يزالُ في مرمى خيباتي تماماً. على الأقل بالنسبة لركلاتيَ الطائشة.

فكرتُ ليلةً، بإزالة الرسمة، أو تمويهها بصباغ أسودَ على أقلِّ تقدير.. خفتُ يا أبي، خفتُ أن تأخذني دوريّة البيشمركة، القادرة على القدوم من كردستانَ العراق إلى عامودا، في لحظة.. صدّقتُ الكذبة، حينَ لمستُ البياناتَ السياسيّة والقراراتَ الحزبية تتجاوزُ الحدودَ من كردستان إلى عامودا، أيضاً في لحظة. لم أكن مغفّلاً يا أبي، سوى أنَّ الرسمة لم تكن في مكانها الصحيح..

أخفاها الأمنُ فيما بعد كاملةً، ليس في الليل، بل رجلَين مسلّحَيْن ترجّلا درّاجة ناريّة في وضح النهار وبدأا على مرأى الجيران، ببخّ الرّسمة، بينما وجوهكم البليدة تبحث عن زمن يكفنها. ثمّ مَضَيا وهديرُ موسيقى «الجوبي» يصدحُ من مسجّلة الدرّاجة طاغياً على وجوم الحيِّ كانَ دلاق دلو دم طازج! مضَيا، دونَ أن يهاجمهما الفتى مسعود، ودون أن تأتي دوريّة البيشمركة.. لوهلة أدركتُ بأن كردستان بعيدة جداً يا أبي، وبأنَّ البيشمركة لم يَسمعوا حتّى بعامودا. وأدركنا نحنُ الصّغار حينها، بأنهم لن يأتوا، واستأنفنا اللّعبة بغياب مسعود الذي كان يُدخّن في المرحاض وينتحبُ وحيداً، كما اكتشفتهُ أمّه.

لماذا انتظرَ الكبارُ بعدَها، قدومهم عقوداً يا أبي؟

ألا زلتم على الأسطح وفي القبور أيضاً تنتظرون؟